سُورَةُ الكَهفِ

مكِّيَّةٌ [إلاَّ آية ٣٨ ومِنْ آية ٨٣ إلَى غَايَةِ آيَةِ ١٠١ فمدَنِيَّةٌ]

وَآيَاتُها ١١٠ [نَزَلَتْ بَعْدَ الغاشِيَةِ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن
لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ
أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾

لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم، وهي نعمة الإسلام، وما أنزل على عبده محمد ﷺ من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم، ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾: ولم يجعل له شيئاً من العوج قط، والعوج في المعاني: كالعوج في الأعيان، والمراد: نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه، وخروج شيء منه من الحكمة والإصابة فيه.

فإن قلت: بم انتصب: ﴿قَيِّمًا﴾؟

قلت: الأحسن أن ينتصب بمضمر ولا يجعل حالاً من الكتاب؛ لأن قوله: (ولم يجعل): معطوف على «أنزل»، فهو داخل في حيز الصلة، فجاعله حالاً من الكتاب، فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة، وتقديره: ولم يجعل له عوضاً جعله قيماً؛ لأنه إذا نفى عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة.

فإن قلت: ما فائدة الجمع بين نفي العوج وإثبات الاستقامة، وفي أحدهما غنى عن الآخر؟

قلت: فائدته: التأكيد، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح، وقيل: قيماً على سائر الكتب: مصدقاً لها، شاهداً بصحتها، وقيل: قيماً بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع، وقرئ «قيماً»، «أنذر»: متعد إلى

مفعولين؛ كقوله: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ: ٤٠] فاقتصر على أحدهما، وأصله: ﴿لِّيُنذِرَ﴾: الذين كفروا، ﴿بَأْسًا شَدِيدًا﴾: والبأس من قوله: (بعذاب بئيس)، وقد بؤس العذاب، وبؤس الرجل بأساً وبآسة، ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾: صادراً من عنده، وقرئ: «من لدنِه»: بسكون الدال مع إشمام الضمة وكسر النون، ﴿وَيُبَشِّرَ﴾: بالتخفيف والتثقيل.

فإن قلت: لم اقتصر على أحد مفعولي أنذر؟

قلت: قد جعل المنذر به هو الغرض المسبوق إليه، فوجب الاقتصار عليه؛ والدليل عليه تكرير الإنذار في قوله: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾: متعلقاً بالمنذرين من غير ذكر المنذر به، كما ذكر المبشر به في قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾: استغناء بتقدم ذكره، والأجر الحسن: الجنة، ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: بالولد أو باتخاذه، يعني: أن قولهم هذا لم يصدر عن علم، ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء، وقد اشتملته[1] آباؤهم من الشيطان وتسويله.

فإن قلت: اتخاذ الله ولداً في نفسه محال، فكيف قيل: ما لهم به من علم[2]؟

قلت: معناه: ما لهم به من علم؛ لأنه ليس مما يعلم لاستحالته، وانتفاء العلم بالشيء إما للجهل بالطريق الموصل إليه، وإما لأنه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به، قرئ: «كبرت كلمة»، وكلمة: بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية، والنصب أقوى وأبلغ، وفيه معنى التعجب؛ كأنه قيل: ما أكبرها كلمة، و ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾: صفة للكلمة تفيد استعظاماً لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم، فإن كثيراً مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به أنفسهم من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوّهوا به ويطلقوا به ألسنتهم، بل يكظمون عليه تشوّراً[3] من إظهاره، فكيف بمثل هذا المنكر؟ وقرئ: «كبُرت» بسكون الباء مع إشمام الضمة.

فإن قلت: إلام يرجع الضمير في كبرت؟

---

(١) قوله: «وقد اشتملته» لعله: استملته، بإهمال السين وسكون الميم (ع).

(٢) قال محمود: «إن قلت اتخاذ الله ولداً في نفسه محال فكيف قيل لهم... إلخ» قال أحمد: قد مضى له في قوله تعالى ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ أن ذلك وارد على سبيل التهكم، وإلا فلا سلطان على الشرك حتى ينزل. ونظيره:

ولا يرى الضب بها ينجحر

وقد قدمت حينئذ أن الكلام وارد على سبيل الحقيقة والأصل، وأن نفي إنزال السلطان تارة يكون لاستحالة إنزاله ووجوده، وتارة يكون، لأنه لم يقع وإن كان ممكناً، والله أعلم.

(٣) قوله: «تشورا من إظهاره» أي تباعدا من إظهاره، كأنه عورة. وفي الصحاح «الشوار» الفرج. ومنه قيل: شور به، كأنه أبدى عورته (ع).

قلت: إلى قولهم: (اتخذ الله ولداً)، وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها.

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾

شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والأسف على توليهم، برجل فارقه أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجداً عليهم / ٢٠٧ ب وتلهفاً على فراقهم، وقرئ: «باخع نفسك»: على الأصل، وعلى الإضافة: أي قاتلها ومهلكها، وهو للاستقبال فيمن قرأ: «إن لم يؤمنوا»، وللمضي فيمن قرأ: «أن لم يؤمنوا»، بمعنى: لأن لم يؤمنوا ﴿بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: بالقرآن، ﴿أَسَفًا﴾: مفعول له، أي: لفرط الحزن، ويجوز أن يكون حالاً، والأسف: المبالغة في الحزن والغضب، يقال: رجل أسف وأسيف.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾

﴿مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها، ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: وحسن العمل: الزهد فيها وترك الاغترار بها، ثم زهد في الميل إليها بقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا﴾: من هذه الزينة، ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ يعني: مثل أرض بيضاء لا نبات فيها، بعد أن كانت خضراء معشبة، في إزالة بهجته، وإماطة حسنة، وإبطال ما به كان زينة: من إماتة الحيوان، وتجفيف النبات والأشجار، ونحو ذلك ذكر من الآيات الكلية تزيين الأرض مما خلق[1] فوقها من الأجناس التي لا حصر لها، وإزالة ذلك كله كأن لم يكن، ثم قال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ يعني: أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة، والكهف: الغار الواسع في الجبل، ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾: اسم كلبهم؛ قال أمية بن أبي الصلت [من الطويل]:

وَلَيْسَ بِهَا إِلاَّ الرَّقِيمُ مُجاوِراً ... وَصيدَهُم وَالْقَوْمُ فِي الْكَهفِ هُمَّدُ[2]

---

(١) قوله: «مما خلق» لعله بما «خلق» (ع).

(٢) لأمية بن أبي الصلت، والرقيم: كلب أصحاب الكهف. والوصيد: فناء البيت وبابه وعتبته، والبيت يحتملها. والهمد: جمع هامد، أي: راقد. والقوم: عطف على الرقيم. يقول: ليس في تلك الصحراء إلا الكلب حال كونه مجاوراً لفناء غارهم، وإلا لقوم حال كونهم رقوداً في الكهف: أي الغار.

وقيل: هو لوح من رصاص، رقمت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف، وقيل: إن الناس رقموا حديثهم نقراً في الجبل، وقيل: هو الوادي الذي فيه الكهف، وقيل: الجبل، وقيل: قريتهم، وقيل: مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين، ﴿كَانُوا﴾: آية، ﴿عَجَبًا﴾: من آياتنا وصفاً بالمصدر، أو على: ذات عجب، ﴿مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أي: رحمة من خزائن رحمتك، وهي المغفرة والرزق والأمن من الأعداء؛ ﴿وهيىء لنا من أمرنا﴾: الذي نحن عليه من مفارقة الكفار، ﴿رَشَدًا﴾: حتى نكون بسببه راشدين مهتدين، أو اجعل أمرنا رشداً كله؛ كقولك: رأيت منك أسداً، ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ أي: ضربنا عليها حجاباً من أن تسمع، يعني: أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات، كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه، فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال: بنى على امرأته، يريدون: بنى عليها القبة، ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾: ذوات عدد، فيحتمل أن يريد الكثرة وأن يريد القلة؛ لأن الكثير قليل عنده؛ كقوله: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال الزجاج: إذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج أن يعدّ، وإذا كثر احتاج إلى أن يعد.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾

﴿أي﴾: يتضمن معنى الاستفهام، فعلق عنه ﴿لِنَعْلَمَ﴾: فلم يعمل فيه، وقرئ: «ليعلم»، وهو معلق عنه ـ أيضاً ـ لأن ارتفاعه بالابتداء لا بإسناد «يعلم» إليه، وفاعل «يعلم»: مضمون الجملة، كما أنه مفعول «نعلم»، ﴿أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾: المختلفين منهم في مدة لبثهم؛ لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك؛ وذلك قوله: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٤] وكان الذين قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم: هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول، أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم، و ﴿أَحْصَىٰ﴾: فعل ماض، أي: أيهم ضبط[1]، ﴿أَمَدًا﴾: لأوقات لبثهم.

فإن قلت: فما تقول فيمن جعله من أفعل التفضيل؟

قلت: ليس بالوجه السديد؛ وذلك أن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس؛ ونحو: «أعدى من الجرب»، و «أفلس من ابن المذلق»: شاذ، والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع، فكيف به؟ ولأن (أمدا) لا يخلو: إما أن ينتصب بأفعل[2]، فأفعل لا يعمل،

---

(١) قال محمود: أحصى فعل ماض، أي: لنعلم أيهم ضبط أمداً... إلخ» قال أحمد: وقد جعل بعض النحاة بناء أفعل من المزيد فيه الهمز قياساً، وادعى ذلك مذهباً لسيبويه، وعلله بأن بناءه منه لا يغير نظم الكلمة، وإنما هو تعويض همزة بهمزة.

(٢) عاد كلامه. قال: «وأيضاً فلو كان للتفضيل لم يخل انتصاب أمداً إما بأفعل... إلخ» قال أحمد: =

وإما أن ينصب بلبثوا، فلا يسد عليه المعنى، فإن زعمت أني أنصبه بإضمار فعل يدل عليه أحصى؛ كما أضمر في قوله [من الطويل]:

. . . . . وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسُّيُوفِ القَوانِسَا[1]

على: نضرب القوانس، فقد أبعدت المتناول وهو قريب؛ حيث أبيت أن يكون أحصى فعلاً، ثم رجعت مضطرًا إلى تقديره وإضماره.

= ولقائل أن ينصبه على التمييز، كانتصاب العدد تمييزاً في قوله تعالى ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ ويعضد حمله على أفعل التفضيل وروده في نظير الواقعة واختلاف الأحزاب في مقدار اللبث، وذلك في قوله تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ فأمثلهم طريقة: هو أحصاهم لما لبثوا عدداً. وكلا الوجهين جائز، والله أعلم.

(١) فلم أر مثل الحي حياً مصبحاً ... ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا
أكر وأحمى للحقيقة منهم ... وأضرب منا بالسيوف القوانسا
إذا ما شددنا شدة نصبوا لنا ... صدور المذاكي والرماح المداعسا
إذا الخيل حالت عن صريع نكرها ... عليهم فما يرجعن إلا عوابسا

للعباس بن مرداس السلمي، والحي بنو زبيد من اليمن. وأكر: أشد كراً. وأحمي: أشد حماية. والحقيقة: ما يستحق الذب عنه من عرض ومال. والقوانس: جمع قونس، وهو أعلى بيضة الفارس وأعلى رأس الفرس. والمذاكي: الخيل العناق العتاق التي أتى عليها بعد قروحها سنة، جمع المذاكي اسم مفعول. والمداعس: الرماح الصم التي يطعن بها. والدعس بالتحريك الأثر، والمداعسة المطاعنة. والمدعس: الرمح الأصم الذي يطعن به. ويروى: جالت، بدل حالت أي: مالت إلى جول بالجيم أي ناحية. وأما الحول بالحاء فهو التحول. والصريع: الطريح على الأرض، ونكرها: نرجعها. والعوابس: كالحات الوجوه من الجري في الغبار. وحيا مصبحاً، أي: مأتيا في الصباح مفعول. ومثل الحي: حال، على أن رأى بصرية. أو مفعول ثان، على أنها علمية، وأكر: بدل من حيا، ولا يصح جعله صفة أو مفعول ثان؛ لأنك لو قلت: ما رأيت مثل زيد رجلاً أفضل منه لم يستقم المعنى إلا على البدلية؛ لأن المماثلة تنافي المفاضلة، إلا أن تكون المماثلة في صفة والمفاضلة في أخرى، فلامانع منه حينئذ. وأضرب: أفعل تفضيل، بدل من فوارس على ما تقدم، فهو لف ونشر مرتب. وأفعل التفضيل لا يعمل النصب في المفعول به، بل حكى الإجماع على ذلك، فالقوانص نصب بمحذوف، أي: يضرب القوانس أي الرؤوس، لكن قال محمد بن مسعود في كتابه البديع: غلط من قال: إن اسم التفضيل لا ينصب المفعول به، واستشهد بهذا البيت وغيره. وبين مدح الفريقين بقوله: إذا شددنا عليهم مرة قابلونا بالخيل العتاق والرماح الجيدة، فهم شجعان. وبقوله: إذا مالت خيلنا أو تحولت عن قتيل منا، نرجعها عليهم لأجل الثأر، فما ترجع إلا كوالح، فنحن أشجع منهم.

ينظر: ديوانه ص ٦٩، والأصمعيات ص ٢٠٥، وحماسة البحتري ص ٤٨، وخزانة الأدب ٨/ ٣١٩، ٣٢١، وشرح التصريح ١/٣٣٩، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٤٤١، ١٧٠٠، ولسان العرب (قنس)، ونوادر أبي زيد ص ٥٩، خزانة الأدب ٧/ ٢١٠، والأشباه والنظائر ١/ ٣٤٤، ٤/ ٧٩، وأمالي ابن الحاجب ١/ ٤٦٠، وشرح الأشموني ١/ ٢٩١، ومغني اللبيب ص ٢/ ٦١٨، الكشاف ٤/ ٤٢٩، الدر المصون ١/ ١٨٠.

فإن قلت: كيف جعل الله ـ تعالى ـ العلم بإحصائهم المدة غرضاً في الضرب على آذانهم؟

قلت: الله ـ عز وجل ـ لم يزل عالماً بذلك؛ وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم، ليزدادوا إيماناً واعتباراً، ويكون لطفاً لمؤمني زمانهم، وآية بينة لكفاره.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾

﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾: بالتوفيق والتثبيت، ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: وقويناها بالصبر على هجر الأوطان والنعيم، والفرار بالدين إلى بعض الغيران، وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام، ﴿إِذْ قَامُوا﴾: بين يدي الجبار وهو دقيانوس، من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم، ﴿فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . . . . . شَطَطًا﴾: قولاً ذا شطط، وهو الإفراط في الظلم والإبعاد فيه، من شط: إذا بعد، ومنه: أشط في السوم وفي غيره، ﴿هَؤُلَاءِ﴾: مبتدأ، و ﴿قَوْمُنَا﴾: عطف بيان، ﴿وَاتَّخَذُوا﴾: خبر، وهو إخبار في معنى: إنكار، ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾: هلا يأتون على عبادتهم، فحذف المضاف، ﴿بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾: وهو تبكيت؛ لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان محال، وهو دليل على فساد التقليد، وأنه/٢٠٨ أ لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت، ﴿أفترى على الله كذبا﴾: بنسبة الشريك إليه.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾

﴿وإذ اعتزلتموهم﴾: خطاب من بعضهم لبعض، حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم، ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾: نصب، عطف على الضمير، يعني: وإذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم، ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾: يجوز أن يكون استثناء متصلاً، على ما روي: أنهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما أهل مكة، وأن يكون منقطعاً، وقيل: هو كلام معترض إخبار من الله ـ تعالى ـ عن الفئة أنهم لم يعبدوا غير الله، ﴿مِرْفَقًا﴾: قرئ بفتح الميم وكسرها، وهو ما يرتفق به: أي ينتفع، إما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة في رجائهم، لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم، وإما أن يخبرهم به نبيّ في عصرهم؛ وإما أن يكون بعضهم نبيًا.

﴿۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾

﴿تَّزَٰوَرُ﴾ أي: تمايل، أصله: تتزاور، فخفف بإدغام التاء في الزاي أو حذفها، وقد قرئ بهما، وقرئ: تزور، وتزوار: بوزن تحمرّ وتحمار، وكلها من الزور وهو الميل؛ ومنه: زاره إذا مال إليه، والزور: الميل عن الصدق، ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾: جهة اليمين، وحقيقتها: الجهة المسماة باليمين، ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾: تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم؛ قال ذو الرمة [من الطويل]:

إِلَى ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أَقْوازَ مُشْرِفٍ ... شِمَالاً وعَنْ أَيْمانِهِنَّ الفَوَارِسُ[1]

﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾: وهم في متسع من الكهف، والمعنى: أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها، مع أنهم في مكان واسع منفتح معرّض لإصابة الشمس لولا أن الله يحجبها عنهم، وقيل: في متفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار، ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: ما صنعه الله بهم ـ من ازورار الشمس وقرصنها طالعة وغاربة ـ آية من آياته، يعني: أنّ ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم؛ اختصاصاً لهم بالكرامة، وقيل: باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش، فهم في مقنأة[2] أبداً، ومعنى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: أن شأنهم

---

(١) نظرت بجرعاء السبية نظرة ... ضحى وسواد العين في الماء شامس
إلى ظعن يقرضن أقواز مشرف ... شمالاً وعن أيمانهن الفوارس
لذي الرمة. وجرعاء السبية: اسم موضع، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الفاعل. وضحى: ظرف، وسواد العين... إلخ. جملة حالية، في الماء، أي: الدمع شامس، أي كثير الحركة والاضطراب. يقال: شمس الفرس والرجل شموساً، إذا ساء خلقه، والظعينة: المرأة في الهودج أو المطية عليها امرأة أو لا، أو الهودج فيه امرأة أو لا. والجمع ظعن وظعن وأظعان وظعاني ويقرضن أي يقطعن. وأقواز مشرف: أعالي جبل مشرف. ويروى أجواز جمع جوز بمعنى المجاز والطريق، أي: يفصلنه عنهن، وشمالاً: جهة الشمال، والفوارس: اسم موضع، وجعله جمع فارس، كما قيل: تبعده المقابلة.
ينظر: ديوانه ص ١١٢، ولسان العرب (قوز)، (فرس)، (قرض) وكتاب العين ٥/ ٥٠، وتهذيب اللغة ٨/ ٣٤٢، وأساس البلاغة (قرض)، وتاج العروس (قوز)، (فرس)، ١٩/ ١٥، وتهذيب اللغة ٩/ ٢٣٨، المخصص ١٢/ ١١٤، وديوان الأدب: ٢/ ١٦٨.

(٢) قوله: «فهم في مقنأة» في الصحاح: قال أبو عمرو «المقنأة، والمقنؤة» الذي لا تطلع عليه الشمس. وقال: غير مقناة. ومقنوة. بغير همز: نقيض المضحاة (ع).

وحديثهم من آيات الله، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾: ثناء عليهم بأنهم جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم، فلطف بهم وأعانهم، وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة، وأن كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي أصاب الفلاح، واهتدى إلى السعادة، ومن تعرّض للخذلان، فلن يجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾

﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾: بكسر السين وفتحها: خطاب لكل أحد، والأيقاظ: جمع يقظ، كأنكاد في نكد، قيل: عيونهم مفتحة وهم نيام، فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظاً، وقيل: لكثرة تقلبهم، وقيل: لهم تقلبتان في السنة، وقيل: تقلبة واحدة في يوم عاشوراء، وقرئ: «ويقلبهم»: بالياء، والضمير لله تعالى، وقرئ: «وتقلبهم»: على المصدر منصوباً، وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾؛ كأنه قيل: وترى وتشاهد تقلبهم، وقرأ جعفر الصادق: «وكالبهم»، أي: وصاحب كلبهم، ﴿بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾: حكاية حال ماضية؛ لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المضي، وإضافته إذا أضيف حقيقية معرفة؛ كغلام زيد، إلا إذا نويت حكاية الحال الماضية، والوصيد: الفناء، وقيل: العتبة، وقيل: الباب، وأنشد [من الطويل]:

بِأَرْضٍ فَضَاءٍ لاَ يُسَدُّ وَصِيدُهَا عَلَيَّ وَمَعْرُوفِي بِهَا غَيْرُ مُنْكَرِ[1]

وقرئ: «ولملِئت»: بتشديد اللام للمبالغة، وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء، و ﴿رُعْبًا﴾: بالتخفيف والتثقيل، وهو الخوف الذي يرعب الصدر، أي: يملؤه؛ وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة، وقيل: لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم، وقيل: لوحشة مكانهم، وعن معاوية أنه غزا الروم فمرّ بالكهف، فقال: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم، فقال له ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: ليس لك ذلك، قد منع الله ـ تعالى ـ منه من هو خير منك، فقال: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ فقال معاوية: لا أنتهي حتى أعلم علمهم، فبعث ناساً وقال لهم: اذهبوا فانظروا، ففعلوا، فلما دخلوا الكهف بعث الله

---

(١) لزهير. والوصيد: الفناء والباب والعتبة. يقول: نزلت في أرض خالية من البناء، تصلني فيها الضيفان والقفاة، ليس فيها بناء له وصيد. فيسد علي فتنحجب عني الضيفان كأهل الحضر، فنفي السد كناية عن نفي الوصيد من أصله، وإحساني بها معروف لا ينكره أحد من الناس.
ينظر: تاج العروس (فضل).
ينظر: في ديوانه ١٠٧ والدرر ٥/ ٢٤٤، وشرح شواهد المغني ١/ ٣٨٤، ولسان العرب (رجم)، وشرح قطر الندى ص ٢٦٢، وهمع الهوامع ٢/ ٩٢، الخزانة ٣/ ١٠، الدر المصون ١/ ٤٩.

عليهم ريحاً فأحرقتهم (٨٩٣)، وقرئ: «لو اطلعت»: بضم الواو.

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ﴾: وكما أنمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم؛ إذكاراً بقدرته على الإنامة والبعث جميعاً؛ ليسأل بعضهم بعضاً ويعرفوا حالهم وما صنع الله بهم، فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله ـ تعالى ـ ويزدادوا يقيناً، ويشكروا ما أنعم الله به عليهم وكرموا به، ﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: جواب مبني على غالب الظن، وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب، وأنه لا يكون كذباً وإن جاز أن يكون خطأ، ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾: إنكار عليهم من بعضهم، وأن الله أعلم بمدة لبثهم، كأن هؤلاء قد علموا بالأدلة أو بإلهام من الله أن المدة متطاولة، وأنّ مقدارها مبهم لا يعلمه إلا الله، وروى أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال، فظنوا أنهم في يومهم، فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك.

فإن قلت: كيف وصلوا قولهم: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟﴾ بتذاكر حديث المدة؟

قلت/ ٢٠٨ب: كأنهم قالوا: ربكم أعلم بذلك؛ لا طريق لكم إلى علمه، فخذوا في شيء آخر مما يهمكم، والورق: الفضة، مضروبة كانت أو غير مضروبة، ومنه الحديث أن عرفجة أصيب أنفه يوم الكلاب[1] فاتخذ أنفاً من ورق فأنتن، فأمره رسول الله ﷺ أن يتخذ أنفاً من ذهب (٨٩٤)، وقرئ: «بوَرْقكم»: بسكون الراء والواو مفتوحة أو مكسورة، وقرأ

---

٨٩٣ ـ أخرجه الواحدي في تفسيره (٣/ ١٤٠)، وذكره الحافظ ابن حجر في تخريجه على الكشاف، وقال: أخرجه ابن أبي حاتم وعبيد بن محمد، وأبو بكر بن أبي شيبة من رواية يعلى بن مسلم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس، وإسناده صحيح.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي حاتم، وعبيد بن محمد، وأبو بكر بن أبي شيبة من رواية يعلى بن مسلم، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وإسناده صحيح. انتهى.

٨٩٤ ـ أخرجه أبو داود (٤/ ٩٢): كتاب الخاتم: باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب، حديث (٤٢٣٣)، والترمذي (٤/ ٢٤٠): كتاب اللباس: باب ما جاء في شد الأسنان بالذهب، حديث (١٧٧٠)، =

---

(١) قوله: «يوم الكلاب» في وقعة الكلاب، وهو بالضم: اسم ماء كانت عنده الواقعة، أفاده الصحاح (ع).

ابن كثير: «بورِقكم»: بكسر الراء وإدغام القاف في الكاف، وعن ابن محيصن أنه كسر الواو وأسكن الراء وأدغم، وهذا غير جائز؛ لالتقاء الساكنين لا على حده، وقيل: المدينة طرسوس، قالوا: وتزوّدهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم: دليل على أن حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأي المتوكلين على الله، دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في أوعية القوم من النفقات؛ ومنه قول عائشة ـ رضي الله عنها ـ لمن سألها عن محرم يشد عليه همیانه ـ: أوثق عليك نفقتك (٨٩٥)، وما حكي عن بعض صعاليك العلماء[1] أنه كان شديد الحنين إلى أن يرزق حج بيت الله، وتعولم منه ذلك، فكانت مياسير أهل بلده كلما عزم منهم فوج على حج أتوه فبذلوا له أن يحجوا به وألحوا عليه، فيعتذر إليهم ويحمد إليهم بذلهم، فإذا انفضوا عنه قال لمن عنده: ما لهذا السفر إلا شيآن: شدّ الهميان، والتوكل على الرحمن، ﴿أيها﴾ أي: أهلها، فحذف الأهل؛ كما في قوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾: أحلّ وأطيب وأكثر وأرخص، ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: وليتكلف اللطف والنيقة[2] فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن، أو في أمر التخفي حتى لا يعرف، ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾: يعني: ولا يفعلنّ ما يؤدي من

= والنسائي (٨/ ١٦٣ ـ ١٦٤): كتاب الزينة: باب من أصيب أنفه هل يتخذ أنفاً من ذهب، وأحمد في مسنده (٥/ ٢٣)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (٥/ ٢٣). كلهم من طرق عن عبد الرحمن بن طرفة عن جده عرفجة بن أسعد فذكره.

قال الترمذي (٤/ ٢٤١): هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من حديث عبد الرحمن بن طرفة، وقد روى سلم بن زرير عن عبد الرحمن بن طرفة، نحو حديث أبي الأشهب، وقد روى غير واحد من أهل العلم أنهم شدوا أسنانهم بالذهب، وفي هذا الحديث حجة لهم وقال عبد الرحمن بن مهدي: سلم بن وزير وهو وهم، وأبو سعيد الصنعاني اسمه محمد بن ميسر.

وأخرجه أحمد (٥/ ٢٣) عن عبد الرحمن بن طرفة بن عرفجة عن أبيه عن جده فذكره. وأخرجه أبو داود (٤/ ٩٢): كتاب الخاتم: باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب، حديث (٤٢٣٢) وأحمد في مسنده (٤/ ٣٤٢)، (٥/ ٢٣) من طرق عن عبد الرحمن بن طرفة بن عرفجة بن أسعد أن جده عرفجة بن أسعد أصيب أنفه.. فذكره مرسلاً.

وأخرجه أبو داود (٤/ ٩٢): كتاب الخاتم: باب ما جاء في ربط الأسنان بالذهب، حديث (٤٢٣٤) عن عبد الرحمن بن طرفة بن عرفجة بن أسعد عن أبيه عن جده، فذكر معناه مرسلاً.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أصحاب السنن من رواية عبد الرحمن بن طرفة. عن عرفجة. وفي رواية بعضهم «أن عرفجة».

٨٩٥ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب المناسك كما في تخريج الكشاف (٢/ ٣٠٢) وقال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح عنهما بذلك. انتهى.

---

(١) قوله: «عن بعض صعاليك العلماء» أي فقرائهم (ع).

(٢) قوله: «والنيقة» أي: الإتقان (ع).

غير قصد منه إلى الشعور بنا، فسمى ذلك إشعاراً منه بهم؛ لأنه سبب فيه الضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾: راجع إلى الأهل المقدر في (أيها): ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾: يقتلوكم أخبث القتلة وهي الرجم، وكانت عادتهم، ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ﴾: أو يدخلوكم، ﴿فِي مِلَّتِهِمْ﴾: بالإكراه العنيف ويصيروكم إليها، والعود في معنى: الصيرورة أكثر شيء في كلامهم، يقولون: ما عدت أفعل كذا، يريدون ابتداء الفعل، ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾: إن دخلتم في دينهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾: وكما أنمناهم وبعثناهم، لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم، ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم، ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾: وهو البعث؛ لأن حالهم في نومتهم وانتباهتهم بعدها كحال من يموت ثم يبعث، و ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ﴾: متعلق بأعثرنا، أي: أعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث، فكان بعضهم يقول: تبعث الأرواح دون الأجساد، وبعضهم يقول: تبعث الأجساد مع الأرواح؛ ليرتفع الخلاف، وليتبين أنّ الأجساد تبعث حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت، ﴿فَقَالُواْ﴾: حين توفى الله أصحاب الكهف، ﴿ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾ أي: على باب كهفهم؛ لئلا يتطرق إليهم الناس ضناً بتربتهم، ومحافظة عليها، كما حفظت تربة رسول الله ﷺ بالحظيرة، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾: من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم، ﴿لَنَتَّخِذَنَّ﴾: على باب الكهف، ﴿مَّسْجِدًا﴾: يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم، وقيل: «إذ يتنازعون بينهم أمرهم» أي: يتذاكر الناس بينهم أمر أصحاب الكهف، ويتكلمون في قصتهم وما أظهر الله من الآية فيهم، أو يتنازعون بينهم تدبير أمرهم حين توفوا، كيف يخفون مكانهم؟ وكيف يسدّون الطريق إليهم؟ فقالوا: ابنوا على باب كهفهم بنياناً، روي أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكرهوا على عبادتها، وممن شدد في ذلك دقيانوس، فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل، فأبوا إلا الثبات على الإيمان والتصلب فيه، ثم هربوا إلى الكهف ومرّوا بكلب فتبعهم فطردوه، فأنطقه الله فقال: ما تريدون مني، أنا أحب أحباء الله، فناموا وأنا أحرسكم، وقيل: مرّوا براع معه كلب فتبعهم[1] على دينهم، ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون

(١) قوله: «وقيل: مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم» لعل بعده سقطاً تقديره: وتبعهم الكلب، كما في الخازن (ع).

الله فيه، ثم ضرب الله على آذانهم، وقبل أن يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن، وقد اختلف أهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين، فدخل الملك بيته، وأغلق بابه، ولبس مسحاً، وجلس على رماد، وسأل ربه أن يبين لهم الحق، فألقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سدّ به فم الكهف؛ ليتخذه حظيرة لغنمه، ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس: اتهموه بأنه وجد كنزاً، فذهبوا به إلى الملك فقصّ عليه القصة، فانطلق الملك وأهل المدينة معه وأبصروهم، وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث، ثم قالت الفتية للملك: نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والإنس، ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم، فألقى الملك عليهم ثيابه، وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب، فرآهم في المنام كارهين للذهب، فجعلها من الساج، وبنى على باب الكهف مسجداً، ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾: من كلام/ ٢٠٩ أ المتنازعين؛ كأنهم تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم، فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا: ربهم أعلم بهم، أو هو من كلام الله ـ عز وجل ـ ردّ لقول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين، أو من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله ﷺ من أهل الكتاب.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿سَيَقُولُونَ﴾: الضمير: لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله ﷺ من أهل الكتاب والمؤمنين، سألوا رسول الله ﷺ عنهم فأخر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم؛ فنزلت، إخباراً بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم، وأنّ المصيب منهم من يقول: سبعة وثامنهم كلبهم، قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: أنا من أولئك القليل، وروى أن السيد والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقال السيد وكان يعقوبيًا: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقال العاقب وكان نسطوريًا: كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، فحقق الله قول المسلمين؛ وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله ﷺ عن لسان جبريل ـ عليه السلام ـ وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: هم سبعة نفر أسماؤهم: يمليخا، ومكشليتيا، ومشلينيا: هؤلاء أصحاب يمين الملك، وكان عن يساره: مرنوش، ودبرنوش، وشادنوش، وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره، والسابع: الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس، واسم مدينتهم: أفسوس، واسم كلبهم: قطمير.

فإن قلت: لم جاء بسين الاستقبال في الأول دون الآخرين؟

قلت: فيه وجهان: أن تدخل الآخرين في حكم السين؛ كما تقول: قد أكرم وأنعم، تريد: معنى التوقع في الفعلين جميعاً؛ وأن تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له، ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾: رمياً بالخبر الخفي وإتياناً به؛ كقوله: (ويقذفون بالغيب) [سبأ: ٥٣] أي: يأتون به، أو وضع الرجم موضع الظنّ، فكأنه قيل: ظناً بالغيب؛ لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظنّ، حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين؛ ألا ترى إلى قول زهير [من الطويل]:

. . . . . وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرَجَّمِ[1]

أي: المظنون، وقرئ: «ثلاث رابعهم»: بإدغام التاء في تاء التأنيث، و ﴿ثَلَٰثَةٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، أي: هم ثلاثة، وكذلك: ﴿خَمْسَةٌ﴾، و ﴿سَبْعَةٌ﴾، و ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة لثلاثة؛ وكذلك: ﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾؛ ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

فإن قلت: فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة، ولم دخلت عليها دون الأوّلين[2]؟

---

(١) وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجم

لزهير من معلقته، ينهي عبساً وذبيان عن القتال. يقول: ليست الحرب إلا التي علمتموها وجربتموها، وشبهها بمطعوم مكروه على طريق الكناية والذوق تخييل، وما هو: أي الحديث عن الحرب، ولما كان الضمير عائداً على المصدر في المعنى صح تعلق المجرور به، ويبعد تعلقه بما بعده. والترجيم: الرمي بالرجام وهي الحجارة الصغار، استعير لإلقاء الكلام بلا روية ولا فكر على طريق التصريحية.

(٢) قال محمود: إن قلت «لم دخلت الواو في الجملة الأخيرة. . . إلخ»؟ قال أحمد: وهو الصواب، لا كمن يقول: إنها واو الثمانية فإن ذلك أمر لا يستقر لمثبته قدم، ويعدون مع هذه الواو في قوله في الجنة ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ بخلاف أبواب النار، فإنه قال فيها ﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ قالوا: لأن أبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة. وهب أن في اللغة واواً تصحب الثمانية فتختص بها، فأين ذكر العدد في أبواب الجنة حتى ينتهي إلى الثامن فتصحبه الواو، وربما عدوا من ذلك ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وهو الثامن من قوله (التائبون) وهذا أيضاً مردود بأن الواو إنما اقترنت بهذه الصفة، لتربط بينها وبين الأولى التي هي الآمرون بالمعروف، لما بينهما من التناسب والربط. ألا ترى اقترانهما في جميع مصادرهما وموارداهما، كقوله ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وكقوله ﴿وامر بالمعروف وانه عن المنكر﴾ وربما عد بعضهم من ذلك الواو في قوله ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ لأنه وجدها مع الثامن، وهذا غلط فاحش، فإن هذه واو التقسيم، ولو ذهبت تحذفها فنقول: ثيبات أبكاراً، لم يستد الكلام، فقد وضح أن الواو في جميع هذه المواضع المعدودة واردة لغير ما زعمه هؤلاء، والله الموفق.

قلت: هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة، كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك: جاءني رجل ومعه آخر، ومررت بزيد وفي يده سيف؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ۝٤﴾ [الحجر: ٤]، وفائدتها: تأكيد لصوق الصفة بالموصوف؛ والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا: سبعة وثامنهم كلبهم، قالوه عن ثبات علم، وطمأنينة نفس، ولم يرجموا بالظن كما غيرهم، والدليل عليه أنّ الله ـ سبحانه ـ اتبع القولين الأولين قوله: ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾، وأتبع القول الثالث قوله: (ما يعلمهم إلا قليل)، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: حين وقعت الواو انقطعت العدّة، أي: لم يبق بعدها عدة عادّ يلتفت إليها، وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات، وقيل: إلا قليل من أهل الكتاب، والضمير في (سيقولون): على هذا لأهل الكتاب خاصة، أي: سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا، ولا علم بذلك إلا في قليل منهم، وأكثرهم على ظنّ وتخمين، ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾: فلا تجادل أهل الكتاب في شأن أصحاب الكهف إلا جدالاً ظاهراً غير متعمق فيه، وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب ولا تزيد، من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الردّ عليهم؛ كما قال: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ﴾: ولا تسأل أحداً منهم عن قصتهم سؤال متعنت له، حتى يقول شيئاً فتردّه عليه وتزيف ما عنده؛ لأن ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة، ولا سؤال مسترشد؛ لأن الله قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ۖ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ۝٢٤﴾

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ﴾: ولا تقولنّ لأجل شيء تعزم عليه، ﴿إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ﴾: الشيء، ﴿غَدًا﴾ أي: فيما يستقبل من الزمان، ولم يرد الغد خاصة، ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: متعلق بالنهي لا بقوله: إني فاعل؛ لأنه لو قال: إني فاعل كذا إلا أن يشاء الله، كان معناه: إلا أن تعترض مشيئة الله دون[1] فعله؛ وذلك مما لا مدخل فيه للنهي، وتعلقه بالنهي على وجهين:

---

(١) قال محمود: «كان معناه إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله... إلخ» قال أحمد: ولا بد من حمل الكلام على أحد الوجهين المذكورين، ولولا ذلك لكان المعنى على الظاهر ببادئ الرأي: ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله أن تقول هذا القول، وليس الغرض ذلك، وإنما الغرض النهي عن هذا القول إلا مقروناً بقول المشيئة، وليت شعري ما معنى قول الزمخشري في تفسير الآية، كأن المعنى: إلا أن تعترض المشيئة دونه، معتقداً أن مشيئة الله تعالى لا تعترض على فعل أحد، فكم شاء من الأفعال فتركت، وكم شاء من التروك ففعلت على زعم القدرية، فلا معنى على =

أحدهما: ولا تقولنّ ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله، بأن يأذن لك فيه.

والثاني: ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله، أي: إلا بمشيئة الله، وهو في موضع الحال، يعني: إلا ملتبساً بمشيئة الله قائلاً: إن شاء الله، وفيه وجه ثالث، وهو: أن يكون (إن شاء الله)[1] في معنى كلمة تأبيد، كأنه قيل: ولا تقولنه أبداً؛ ونحوه قوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٨٩]؛ لأن عودهم في ملتهم مما لن يشاءه الله، وهذا نهي تأديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش: سلوه عن الروح، وعن أصحاب الكهف / ٢٠٩ ب، وذي القرنين، فسألوه، فقال: ائتوني غداً أخبركم ولم يستثن، فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش، ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ أي: مشيئة ربك، وقل: إن شاء الله، إذا فرط منك نسيان لذلك، والمعنى: إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر[2]، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: ولو بعد سنة ما لم تحنث، وعن سعيد بن جبير: ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة، وعن طاوس: هو على ثنياه[3] ما دام في مجلسه، وعن الحسن نحوه، وعن عطاء: يستثنى على مقدار حلب ناقة غزيرة، وعند عامة الفقهاء أنه لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولاً، ويحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ في الاستثناء المنفصل، فاستحضره لينكر عليه: فقال أبو حنيفة: هذا يرجع عليك؛ إنك لتأخذ البيعة بالأيمان، أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك؟ فاستحسن كلامه ورضي عنه (٨٩٦)، ويجوز أن يكون المعنى: واذكر[4] ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء؛ تشديداً في البعث

---

٨٩٦ ـ أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٣٠٣) من حديث الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: . . . فذكره، وقال الحاكم وكان الأعمش يأخذ بها، وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. أ.هـ. وأخرجه الطبراني في معجمه الوسط كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/٣٠٣).

= أصلهم الفاسد لتعليق الفعل بالمشيئة قولاً وهو غير متعلق بها وقوعاً، حتى أن قول القائل: لا أفعل كذا إلا أن يشاء الله أن أفعله: كذب وخلف بتقدير فعله إذا كان من قبيل المباح، لأن الله تعالى لا يشاؤه على زعمهم الفاسد، فما أبعد عقدهم من قواعد الشرع فسحقاً سحقاً.

(١) قوله: «إن شاء الله» لعله أن يشاء الله (ع).

(٢) عاد كلامه. قال: «وقوله ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ أي كلمة الاستثناء ثم تنبهت لها، فتداركها بالذكر. وعن ابن عباس: ولو بعد سنة ما لم تحنث إلى قوله: وعند عامة الفقهاء. . . إلخ» قال أحمد: أما ظاهر الآية فمقتضاه الأمر بتدارك المشيئة متى ذكرت ولو بعد الطول. وأما حلها لليمين حينئذ فلا دليل عليه منها، والله أعلم.

(٣) قوله: «هو على ثنياه» في الصحاح «الثنيا» بالضم: الاسم من الاستثناء (ع).

(٤) قال محمود: «ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح. . . إلخ» قال أحمد: ويؤيد هذا التأويل =

على الاهتمام بها، وقيل: واذكر ربك إذا تركت بعض ما أمرك به؛ وقيل: واذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي، وقد حمل على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها، و ﴿هَٰذَا﴾: إشارة إلى نبأ أصحاب الكهف، ومعناه: لعل اللّه يؤتيني من البينات والحجج على أني نبيّ صادق ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشداً من نبأ أصحاب الكهف، وقد فعل ذلك؛ حيث آتاه من قصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك وأدلّ، والظاهر أن يكون المعنى: إذا نسيت شيئاً فاذكر ربك، وذكر ربك عند نسيانه أن تقول: عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه، ﴿رَشَدًا﴾: وأدنى خيراً ومنفعة، ولعل النسيان كان خيرة؛ كقوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦].

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين﴾: يريد لبثهم فيه أحياء مضروباً على آذانهم هذه المدة، وهو بيان لما أجمل في قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾، ومعنى قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾: أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم، والحق ما أخبرك الله به، وعن قتادة: أنه حكاية لكلام أهل الكتاب، و (قل الله أعلم): رد عليهم، وقال في حرف عبد الله: وقالوا لبثوا، وسنين: عطف بيان لثلثمائة، وقرئ: «ثلثمائة سنين»: بالإضافة، على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز؛ كقوله: ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣]، وفي قراءة أبيّ: «ثلثمائة سنة»، ﴿تِسْعًا﴾: تسع سنين؛ لأن ما قبله يدل عليه، وقرأ الحسن: «تسعاً»: بالفتح، ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والأرض وخفي فيها من أحوال أهلها ومن غيرها وأنه هو وحده العالم به، وجاء بما دل على التعجب من إدراكه المسموعات والمبصرات؛ للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عن حدّ ما عليه إدراك السامعين والمبصرين؛ لأنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها، كما يدرك أكبرها حجماً وأكثفها جرماً، ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر، ﴿مَّا لَهُم﴾ الضمير: لأهل السموات والأرض، ﴿مِن وَلِىٍّ﴾: من متول لأمورهم، ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ﴾: في قضائه، ﴿أَحَدًا﴾: منهم، وقرأ الحسن: «ولا تشرك»: بالتاء والجزم على النهي.

= بقوله تعالى أول القصة ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ فافتتح ذكر القصة بتقليل شأنها وإنكار عده من عجائب آيات الله، ثم ختمها بأمره عليه الصلاة والسلام بطلب ما هو أرشد وأدخل في الآية والله أعلم.

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾

كانوا يقولون له: ائت بقرآن غير هذا أو بدله، فقيل له: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾: من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل، فلا مبدل لكلمات ربك، أي: لا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها؛ إنما يقدر على ذلك هو وحده، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ [النحل: ١٠]، ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾: ملتجأ تعدل إليه إن هممت بذلك.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾

وقال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله ﷺ: نحّ هؤلاء الموالى الذين كأن ريحهم ريح الضأن، وهم: صهيب، وعمار، وخباب، وغيرهم من فقراء المسلمين، حتى نجالسك، كما قال قوم نوح: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]؛ فنزلت: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾: واحبسها معهم وثبتها؛ قال أبو ذؤيب [من الكامل]:

فَصَبَرْتُ عَارِفَةً لِذٰلِكَ حُرَّةً ... تَرْسُو إِذَا نَفْسُ الْجَبَانِ تَطَلَّعُ[1]

﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾: دائبين على الدعاء في كل وقت، وقيل: المراد: صلاة الفجر والعصر، وقرئ: «بالغدوة»، و «بالغداة»: أجود؛ لأن غدوة علم في أكثر الاستعمال، وإدخال اللام على تأويل التنكير؛ كما قال [من الطويل]:

..... وَالزَّيْدُ زَيْدُ الْمَعَارِكِ[2] .....

---

(١) لأبي ذؤيب في مرثية بنيه، وصبرت: أي حبست نفساً عارفة لذلك البلاء، وضمن عارفة معنى صابرة فعداه باللام، جسرة: أي قوية صلبة. ويروى: حرة، بضم الحاء، أي جيدة. ترسو: تطمئن وتسكن، إذا تطلع نفس الجبان وتجزع كأنها تريد الفرار وأصله تتطلع، حذف منه إحدى التاءين تخفيفاً.

نسب هذا البيت لعنترة ينظر: ديوانه (٤٩). وينظر: البحر المحيط ٥/ ٢٢٥ واللسان (صبر) وروح المعاني ١٢/ ٥٧، والتهذيب ٢/ ٣٤٤، والدر المصون ٤/ ١٠٠.

(٢) وقد كان منهم حاجب وابن أمه ... أبو جندل والزيد زيد المعارك

دخلت «أل» المعرفة على «زيد» وهو علم لتأويله بالمسمى بزيد، ولذلك أضافه للمعارك، أي أمكنة الحروب. يقول: وقد كان من هؤلاء القوم حاجب بن لقيط بن زرارة وابن أمه، أي أخوه أبو جندل والمسمى يزيد، المعد للحروب. وفيه إشارة إلى أنه يعرف بذلك فيما بين الناس.

ونحوه قليل في كلامهم، يقال: عداه إذا جاوزه ومنه قولهم، عدا طوره، وجاءني القوم عدا زيداً؛ وإنما عدى بعن؛ لتضمين عدا معنى نبا وعلا، في قولك: نبت عنه عينه وعلت عنه عينه: إذا اقتحمته ولم تعلق به.

فإن قلت: أي غرض في هذا التضمين؟ وهلا قيل: ولا تعدهم عيناك، أو لا تعل عيناك عنهم؟

قلت: الغرض فيه: إعطاء مجموع معنيين؛ وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ؛ ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم؟ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢]، أي: ولا تضموها إليها آكلين لها، وقرئ: «ولا تعد عينيك»، «ولا تعدّ عينيك»[1]: من أعداه وعدّاه نقلاً بالهمزة وتثقيل الحشو؛ ومنه قوله [من البسيط]:

فَعَدَّ عَمَّا تَرَى إِذْ لاَ ارْتِجَاعَ لَهُ ..... [2]

---

(١) قال السمين الحلبي: وردّ عليهما الشيخ: بأنه لو كان تعديه في هاتين القراءتين بالهمزة، أو التضعيف لتعدي لاثنين، لأنه قبل ذلك متعد لواحد بنفسه. وقد أقر الزمخشري بذلك، حيث قال: «يقال: عَدّاه إذا جاوزه، وإنما عُدِّي بـ«عَنْ» لتضمنه معنى: عَلا، ونَبَا، فحينئذٍ يكون «أَفْعَل، وفَعَل» مما وافقا المجرد» وهو اعتراض حسن. قوله: «تُريدُ» جملة حالية، ويجوز أن يكون فاعل «تُريدُ» المخاطب، أي: تريد أنت، ويجوز أن يكون ضمير العينين، وإنما وُحِّدَ، لأنهما متلازمان يجوز أن يخبر عنهما خبر الواحد.
قال الشيخ: وصاحب الحال أَنْ قدر عيناك، فكأن يكون التركيب تريدان. «قُلْتُ: غَفَلَ عَن القاعدة، التي ذكرتها من أن الشيئين المتلازمين يجوز أن يخبر عنهما إخبار الواحد. ثم قال: وإن قدّر الكاف فمجيء الحال من المجرور بالإضافة مثل هذا فيه الإشكال، لاختلاف العامل في الحال وذي الحال، وقد أجاز ذلك بعضهم إذا كان المضاف جزءاً أو كالجزء، وحسن ذلك أن المقصود نَهْيُهُ هو ـ عليه السلام ـ وإنما جيء بقوله: «عيناك» والمقصود هو، لأنهما بهما يكون المراعاة للشخص والملفت له. قُلْتُ: وقد ظهر لي وجه حسن لم أَرَ غَيْرِي ذكرهُ وهو: أن يكون «تَعْدُ» مسنداً لضمير المخاطب ﷺ و«عَيْنَاكَ» بدل من الضمير بدل بعض من كل، و«تُرِيدُ» على وجهيها من كونها حالاً من «عَيْنَاكَ»، أو من الضمير في «تَعْدُ»، إلاَّ إن جعلها حالاً من الضمير في «لاَ تَعْدُ» ضَعْفاً، من حيث إنَّ مراعاة المبدل منه، بعد ذكر البدل قليل جدا، تقول: الجاريةُ حُسْنُهَا فَاتِنٌ، ولا يجوز: فَاتِنَةٌ. انتهى. الدر المصون.

(٢) فعد عما ترى إذ لا ارتجاع له ... وانم القتود على عيرانة أجد
للنابغة الذبياني. ونما ينمى نمياً: زاد وارتفع. ونماه ينميه نمياً: رفعه وزاده. ونما ينمو نموا من باب دخل. ونماه ينموه نموا أيضاً، لكن الواوي قليل. والقتود: جمع أقتاد، جمع قتد: وهي عيدان الرحل بلا أداة. والعيرانة: الشبيهة بالعير في سرعة السير. والأجد: الصلبة الموثقة الخلق. يقول: انصرف عما ترى من آثار الديار، أو عما تظن رجوعه؛ لأنه لا تدارك له أو لا رجوع له، وارفع عيدان الرحل على ناقة سريعة صلبة، كناية عن أمره بالسفر؛ لأن شد الرحال لا يكون إلا له. =

لأن معناه: فعد همك عما ترى، نهي رسول الله ﷺ أن يزدري بفقراء المؤمنين، وأن تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحاً إلى زيّ الأغنياء وحسن شارتهم[1]، ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: في موضع الحال، ﴿مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ﴾/ ٢١٠أ: من جعلنا قلبه غافلا[2] عن الذكر بالخذلان[3]، أو وجدناه غافلا عنه؛ كقولك: أجبنته وأفحمته[4] وأبخلته، إذا وجدته كذلك، أو من أغفل إبله إذا تركها[5] بغير سمة، أي: لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان وقد أبطل الله توهم المجبرة[6] بقوله: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾، وقرئ: «أغفلنا قلبه»، بإسناد الفعل إلى القلب على معنى: حسبنا قلبه غافلين؛ من أغفلته إذا وجدته غافلاً، ﴿فُرُطًا﴾: متقدماً للحق والصواب[7]، نابذاً له وراء ظهره من قولهم: «فرس فرط»: متقدم للخيل.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾

= ينظر: ديوانه ص (١٦)، ولسان العرب (قتد)، (نمى)، كتاب العين (٢/ ٢١٥)، مقاييس اللغة (١/ ٦٢) (٤/ ٢٥١)، تهذيب اللغة (١٥/ ٥١٧)، تاج العروس (قتد) (نمى)، الدر المصون (٤/ ٤٤٩).

(١) «قوله: «وحسن شارتهم» في الصحاح: الشوار والشارة: اللباس والهيئة (ع).

(٢) قال محمود: «معناه جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر... إلخ» قال أحمد: هو يشمر للهرب من الحق، وهو أن المراد خلقنا له، وجدير به أن يشمر في اتباع هواه، فإن حمل «أغفل» على بابه صرفه إلى الخذلان، وإلا أخرجه بالكلية عن بابه إلى باب أفعل للمصادفة، ولا يتجرأ على تفسير فعل أسنده الله إلى ذاته بالمصادفة إلى تفهيم وجدان الشيء بغتة عن جهل سابق وعدم علم.

(٣) قوله: «غافلاً عن الذكر بالخذلان» يتحاشى بذلك عن خلق الغفلة في قلبه؛ لأن الله لا يخلق الشر عند المعتزلة، وأهل السنة على خلاف ذلك كما أشار إليه بقوله: توهم المجبرة. ثم إن اتباعه هواه لا ينافي خلق الله الغفلة في قلبه، لجواز أن يكون ذلك ناشئاً عن الغفلة (ع).

(٤) قوله: «كقولك أجبنته وأفحمته» في الصحاح «أفحمته» وجدته مفحماً لا يقول الشعر (ع).

(٥) عاد كلامه. قال: «ويجوز أن يكون المعنى من أغفل إبله إذا... إلخ» قال أحمد: وهذا التأويل فيه رقة حاشية ولطافة معنى، وغرضه منه الخلاص مما قدمناه، لأنه وإن أبى خلق الله للغفلة في القلب فلا يأبى عدم كتب الإيمان، وإنما غرضنا التنبيه على أن مقصد الزمخشري الحيد عن القاعدة المتقدمة، والتأويل إنما يصار إليه إذا اعتاص الظاهر وهو عندنا ممكن، فوجب الاعتصام به، والله الموفق.

(٦) عاد كلامه. قال: «وقد أبطل الله توهم المجبرة بقوله: واتبع هواه» قال أحمد: قد تقدم في غير ما موضع أن أهل السنة يضيفون فعل العبد إلى الله تعالى من حيث كونه مخلوقاً له، وإلى العبد من حيث كونه مقروناً بقدرته واختياره، ولا تنافي بين الإضافتين، فبراهين السنة تتبعه أينما سلك وأية توجه، فلامحيص له عنها بوجه.

(٧) قوله: «متقدماً للحق والصواب» أي سابق له ومجاوز له، وفي الصحاح: أمر فرط، أي مجاوز فيه الحد. ومنه قوله تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾.

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾: الحق خبر مبتدأ محذوف، والمعنى: جاء الحق وزاحت العلل[1]، فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك، وجيء بلفظ الأمر والتخيير؛ لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء، فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ما شاء من النجدين، شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق، وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط، وبيت مسردق: ذو سرادق، وقيل: هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار، وقيل: حائط من نار يطيف بهم[2]، ﴿يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾؛ كقوله [من الكامل]:

.... فَأَعْتَبُوا بِالصَّيْلَمِ[3]

وفيه تهكم، والمهل: ما أذيب من جواهر الأرض، وقيل: درديّ الزيت، ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾: إذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته، عن النبي ﷺ: «هُوَ كَعُكْرِ الزيتِ (٨٩٧)، فَإِذَا قَرُبَ إِلَيْهِ سَقَطَتْ فَرْوَةُ وَجْهِهِ»، ﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾: ذلك، ﴿وَسَآءَتْ﴾: النار،

---

٨٩٧ ـ أخرجه الترمذي (٤/ ٧٠٤ ـ ٧٠٥): كتاب صفة جهنم: باب ما جاء في صفة شراب أهل النار، حديث (٢٥٨١)، و(٥/ ٤٢٦): كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة سأل سائل، حديث (٣٣٢٢)، من طريق رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري به. وقال الترمذي (٤/ ٧٠٥): هذا حديث لانعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد، ورشدين قد تكلم فيه. وقال أيضاً في (٥/ ٤٢٦): هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين.
وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٥١٤ ـ ٥١٥) رقم (٧٤٧٣) والحاكم في «المستدرك»: (٢/ ٥٠١) كلهم من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث، عن دراج، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري به. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأخرجه أحمد (٣/ ٧٠ ـ ٧١)، وأبو يعلى (٢/ ٥٢٠ ـ ٥٢١) رقم (١٣٧٥/٤٠١) من طريق الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري به. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٤٠٠) وزاد نسبته إلى سعيد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان. وفي الباب عن أبي أمامة:
أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٥)، والترمذي (٤/ ٧٠٥ ـ ٧٠٦) كتاب صفة جهنم: باب ما جاء في صفة شراب أهل النار حديث (٢٥٨٣)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٠٦) رقم (٧٤٦٠)، كلهم من طريق صفوان بن عمرو عن عبيد الله بن بسر عن أبي أمامة به. قال الترمذي (٤/ ٧٠٥ ـ ٧٠٦): هذا =

---

(١) قوله: «والمعنى جاء الحق وزاحت العلل» في الصحاح «زاح الشيء» بعد وذهب. وأزحت علته فزاحت (ع).
(٢) قوله: «يطيف بهم» الذي يفيده الصحاح: طاف يطوف حول الشيء: دار حوله، وطاف يطيف بالشيء: جاءه وألم به، فتدبر.
(٣) تقدم.

obeikandi.com

﴿مُرْتَفَقًا﴾: متكأ من المرفق؛ وهذا لمشاكلة قوله: (وحسنت مرتفقا)، وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا اتكاء، إلا أن يكون من قوله [من البسيط]:

إِنِّي أَرِقْتُ فَبِتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفِقاً ... كَأَنَّ عَيْنِيَ فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحُ[1]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾

﴿أُولَٰئِكَ﴾: خبر إن، و ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾: اعتراض، ولك أن تجعل: (إنا لا نضيع)، و (أولئك): خبرين معاً، أو تجعل: (أولئك): كلاماً مستأنفاً بياناً للأجر المبهم.

فإن قلت: إذا جعلت: (إنا لا نضيع): خبراً، فأين الضمير الراجع منه إلى المبتدأ؟

قلت: ﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾، و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: ينتظمهما معنى واحد، فقام: (من أحسن): مقام الضمير، أو أردت: من أحسن عملاً منهم، فكان كقولك: السمن منوان بدرهم، من الأولى؛ للابتداء، والثانية: للتبيين، وتنكير: ﴿أَسَاوِرَ﴾؛ لإبهام أمرها في الحسن، وجمع بين السندس: وهو ما رقّ من الديباج، وبين الاستبرق: وهو

= حديث غريب، وهكذا قال محمد بن إسماعيل عن عبيد الله بن بسر، ولا نعرف عبيد الله بن بسر إلا في هذا الحديث. وقد روى صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بسر صاحب النبي ﷺ غير هذا الحديث، وعبد الله بن بسر له أخ قد سمع من النبي ﷺ وأخته قد سمعت من النبي ﷺ، وعبيد الله بن بسر الذي روى عنه صفوان بن عمرو هذا الحديث، رجل آخر ليس بصاحب.

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه الترمذي من طريق رشدين بن سعد، عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد واستغربه، وقال: لا يعرف إلا من حديث رشدين ابن سعد وتعقب قوله: بأن أحمد وأبا يعلى أخرجاه من طريق ابن لهيعة عن دراج، وبأن ابن حبان والحاكم أخرجاه من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث. انتهى.

---

(١) لأبي ذؤيب الهذلي. ويروى بدل الشطر الأول: مقام الخلي وبت الليل مشتجراً. والارتفاق: الاتكاء على المرفق مع نصب الساعد. والاشتجار: وضع اليد تحت الشجر وهو ما بين اللحيين والاتكاء عليها، وهي هيئة المتحزن المتحسر. والأرق؛ السهر. والصاب: نبت مر كالحنظل. والمذبوح: المشقوق. وهو كناية عن البكاء وانصباب الدموع.
ينظر: شرح أشعار الهذليين ص ١٢٠، ولسان العرب (صوب)، (شجر)، (حرف)، والتنبيه والإيضاح ١/ ١٠٦، وتاج العروس (شجر)، ومجمل اللغة ٣/ ٢٥٤، وتهذيب اللغة ٤/ ٤٧١، ٤٧٤، وأساس البلاغة (ذبح)، وللهذلي في تاج العروس (صوب)، وبلا نسبة في لسان العرب (ذبح)، ومقاييس اللغة ٣/ ٢٤٧، ٣٢٧، وديوان الأدب ٢/ ٤٠٢، وتاج العروس (ذبح).

الغليظ منه، جمعاً بين النوعين، وخص الاتكاء؛ لأنه هيئة المنعمين والملوك على أسرتهم.

﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ أي: ومثل حال الكافرين والمؤمنين، بحال رجلين وكانا أخوين في بني إسرائيل: أحدهما كافر اسمه: قطروس، والآخر مؤمن اسمه: يهوذا، وقيل: هما المذكوران في سورة «والصافات»، في قوله: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾﴾، ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار، فتشاطراها، فاشترى الكافر أرضاً بألف، فقال المؤمن: اللهم، إن أخي اشترى أرضاً بألف دينار، وأنا أشتري منك أرضاً في الجنة بألف، فتصدّق به، ثم بنى أخوه داراً بألف، فقال: اللهم، إني أشتري منك داراً في الجنة بألف، فتصدّق به، ثم تزوّج أخوه امرأة بألف، فقال: اللهم، إني جعلت ألفاً صداقاً للحوار، ثم اشترى أخوه خدماً ومتاعاً بألف، فقال: اللهم، إني اشتريت منك الولدان المخلدين بألف، فتصدّق به، ثم أصابته حاجة، فجلس لأخيه على طريقه، فمرّ به في حشمه، فتعرض له، فطرده ووبخه على التصدق بماله، وقيل: هما مثل لأخوين من بني مخزوم: مؤمن وهو: أبو سلمة عبد الله بن عبد الأشد، وكان زوج أمّ سلمة قبل رسول الله ﷺ وكافر وهو: الأسود بن عبد الأشد، ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ﴾: بستانين من كروم، ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾: وجعلنا النخل محيطاً بالجنتين، وهذا مما يؤثره الدهاقين[1] في كرومهم: أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة، يقال: حفوه: إذا أطافوا به، وحففته بهم، أي: جعلتهم حافين حوله، وهو متعدّ إلى مفعول واحد، فتزيده الباء مفعولاً ثانياً؛ كقولك: غشيه، وغشيته به، ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾: جعلناها أرضاً جامعة للأقوات والفواكه، ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها، مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق، ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص، ثم بما وهو أصل الخير ومادّته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به، وهو السيح بالنهر الجاري فيها، والأكل: الثمر، وقرئ بضم الكاف، ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾: ولم تنقص، وآتت: حمل على اللفظ؛ لأن (كلتا) لفظه لفظ مفرد، ولو قيل: آتتا على المعنى، لجاز. وقرئ: وفجرنا، على التخفيف. وقرأ عبد الله: كل الجنتين آتى أكله بردّ الضمير على كل، ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ أي:

(١) قوله: «الدهاقين» أحده دهقان (ع).

أنواع من المال، من ثمر ماله[1] إذا كثر، وعن مجاهد: الذهب والفضة، أي: كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الدثرة[2] من الذهب والفضة وغيرهما، وكان وافر اليسار من كل وجه، متمكناً من عمارة الأرض كيف شاء، ﴿وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ يعني: أنصاراً وحشماً، وقيل: أولاداً ذكوراً؛ لأنهم ينفرون معه دون الإناث، يحاوره: يراجعه الكلام، من حار يحور إذا رجع، وسألته فما أحار كلمة.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾

يعني: قطروس أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه.

فإن قلت: فلم أفرد الجنة بعد التثنية؟

قلت / ٢١٠ ب: معناه: ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها، يعني أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون، فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير، ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما، ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾: وهو معجب بما أوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه، معرّض بذلك نفسه لسخط الله، وهو أفحش الظلم، إخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته؛ لطول أمله واستيلاء الحرص عليه، وتمادي غفلته، واغتراره بالمهلة، وإطراحه النظر في عواقب أمثاله، وترى أكثر الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم، فإن ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه، ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾: إقسام منه على أنه إن ردّ إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير، وكما يزعم صاحبه، ليجدنّ في الآخرة خيراً من جنته في الدنيا؛ تطمعاً وتمنياً على الله، وادّعاء لكرامته عليه ومكانته عنده، وأنه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستئهاله، وأنّ معه هذا الاستحقاق أينما توجه؛ كقوله: ﴿إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]، ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾، وقرئ: «خيراً منهما»؛ ردًّا على الجنتين، ﴿مُنقَلَبًا﴾: مرجعاً وعاقبة، وانتصابه على التمييز، أي: منقلب تلك، خير من منقلب هذه؛ لأنها فانية وتلك باقية.

---

(١) قوله: «من ثمر ماله» الذي في الصحاح: أن الثمر جمع ثمار، ككتب وكتاب. وأن الثمر أيضاً: المال المثمر، ويخفف ويثقل. وأثمر الرجل: إذا كثر ماله، وثمر الله ماله، أي: كثره. وعبارة الخازن: وكان له ثمر. قرئ بالفتح جمع ثمرة، وقرئ بالضم وهو الأموال الكثيرة المثمرة من كل صنف من الذهب والفضة وغيرهما. وفي النسفي: له ثمر، وأحيط بثمره بفتح الميم والثاء، وبضم الثاء وسكون الميم، وبضمهما (ع).

(٢) قوله: «الأموال الدثرة» الكثيرة. أفاده الصحاح (ع).

﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ أي: خلق أصلك، لأن خلق أصله سبب في خلقه، فكان خلقه خلقاً له، ﴿سَوَّىٰكَ﴾: عدلك وكملك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال، جعله كافراً بالله جاحداً لأنعمه؛ لشكه في البعث، كما يكون المكذب بالرسول ﷺ كافراً

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ أصله: لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن، فتلاقت النونان فكان الإدغام؛ ونحوه قول القائل [من الطويل]:

وتَرْمِينَني بِالطَّرْفِ أَيْ أَنْتَ مُذْنِبٌ ... وتَقْلِينَني لَكِنَّ إِيَّاكِ لاَ أَقْلِي[1]

أي: لكن أنا لا أقليك وهو ضمير الشأن، والشأن الله ربي، والجملة خبر أنا، والراجع منها إليه: ياء الضمير، وقرأ ابن عامر بإثبات ألف أنا في الوصل والوقف جميعاً، وحسن ذلك وقوع الألف عوضاً من حذف الهمزة، وغيره لا يثبتها إلا في الوقف، وعن أبي عمرو أنه وقف بالهاء: لكنه، وقرئ: «لكن هو الله ربي»: بسكون النون وطرح أنا، وقرأ أبيّ بن كعب: «لكن أنا»: على الأصل، وفي قراءة عبد الله: لكن أنا لا إله إلا هو ربي.

فإن قلت: هو استدراك لماذا؟

قلت: لقوله: (أكفرت) قال لأخيه: أنت كافر بالله؛ لكني مؤمن موحد، كما تقول: زيد غائب، لكن عمراً حاضر.

﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا

---

(١) يقول: وترمينني يا محبوبة بطرفك، أي: تشيرين إلي به. فالرمي: استعارة مصرحة، لأنه شبه إطلاق البصر بإطلاق الحجر. ويجوز أن الباء للآلة، فالمرمي محذوف فسره بقوله: أي أنت مذنب، فأي تفسيرية، يعني أن ما رمته به هو ادعاؤها أنه مذنب. وقلاه يقليه، وقليه يقلاه. وقد يقال: قلاه يقلاه بمعنى بغضه أشد البغض، ولكن أصله: ولكن أنا، فنقلت حركة الهمزة إلى النون ثم حذفت، ثم أدغمت النون في النون بعدها، وحذفت الألف الأخيرة في الرسم كاللفظ. ولو أجري الوصل مجرى الوقف لثبتت، وقدم المفعول وهو «إياك» للاهتمام ببراءتها من قلاء وتخصيصها بذلك دون غيرها من النساء.

ينظر: تذكرة النحاة ص ٢٣، والجنى الداني ص ٢٣٣، وجواهر الأدب ص ٢١٨، ٤١١، وخزانة الأدب ١١/ ٢٥٥، ٢٩٩، والدرر ٤/ ٣١، ٥/ ١٢١، وشرح شواهد المغني ١/ ٢٣٤، ٢/ ٨٢٨، وشرح المفصل لابن يعيش ٨/ ١٤١، ومغني اللبيب ١/ ٧٦، وهمع الهوامع ١/ ٢٤٨، ٢/ ٧١.

﴿وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾

﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾: يجوز أن تكون (ما): موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره: الأمر ما شاء الله، أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف، بمعنى: أي شيء شاء الله كان، ونظيرها في حذف الجواب (لو) في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾، والمعنى: هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها الأمر: ما شاء الله؛ اعترافاً بأنها وكلّ خير فيها إنما حصل بمشيئة الله وفضله، وأن أمرها بيده: إن شاء تركها عامرة، وإن شاء خرّبها، وقلت: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾؛ إقراراً بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها إنما هو بمعونته وتأييده، إذ لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله تعالى، وعن عروة بن الزبير أنه كان يثلم حائطه أيام الرطب، فيدخل من شاء، وكان إذا دخله ردّد هذه الآية حتى يخرج، من قرأ (أقلّ): بالنصب، فقد جعل أنا فَصْلاً، ومن رفع جعله مبتدأ وأقلّ خبره، والجملة مفعولاً ثانياً لترني. وفي قوله: ﴿وَوَلَدًا﴾؛ نصرة لمن فسر النفر بالأولاد في قوله: (وأعز نفرا)، والمعنى: إن ترني أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى، فيرزقني لإيماني جنة، ﴿خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾: ويسلبك لكفرك نعمته ويخرّب بستانك، والحسبان: مصدر كالغفران والبطلان، بمعنى: الحساب، أي: مقداراً قدره الله وحسبه، وهو الحكم بتخريبها، وقال الزجاج: عذاب حسبان؛ وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك، وقيل: حسباناً مرامى الواحدة حسبانة وهي الصواعق، ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾: أرضاً بيضاء، يزلق عليها لملامستها زلقاً، و﴿غَوْرًا﴾: كلاهما وصف بالمصدر.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾

﴿وَأُحِيطَ﴾: به عبارة عن إهلاكه، وأصله: من أحاط به العدو؛ لأنه إذا أحاط به، فقد ملكه واستولى عليه، ثم استعمل في كل إهلاك؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦]؛ ومثله قولهم: أتى عليه، إذا أهلكه، من أتى عليهم العدو: إذا جاءهم مستعلياً عليهم، وتقليب الكفين: كناية عن الندم والتحسر؛ لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن، كما كنى عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد، ولأنه في معنى الندم عدّي تعديته بعلى، كأنه قيل: فأصبح يندم ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ أي: أنفق في عمارتها، ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يعني: أنّ كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض، وسقطت فوقها الكروم، قيل: أرسل الله

عليها ناراً فأكلتها، ﴿يَٰلَيۡتَنِي﴾: تذكر موعظة أخيه، فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه، فتمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يهلك الله بستانه، ويجوز أن يكون توبة من الشرك، وندماً على ما كان منه، ودخولاً في الإيمان، وقرئ: (ولم يكن): بالياء والتاء، وحمل (ينصرونه): على المعنى دون/ ٢١١ ب اللفظ؛ كقوله: ﴿فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم﴾ [آل عمران: ١٣].

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؟

قلت: معناه: يقدرون على نصرته من دون الله، أي: هو وحده القادر على نصرته، لا يقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره لصارف وهو استيجابه أن يخذل، ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾: وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله.

﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ٤٤﴾

﴿ٱلۡوَلَٰيَةُ﴾: بالفتح: النصرة والتولي، وبالكسر: السلطان والملك، وقد قرئ بهما. والمعنى هنالك، أي: في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده، لا يملكها غيره، ولا يستطيعها أحد سواه؛ تقريراً لقوله: ﴿وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٤٣]، أو: هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه، أو: في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطرّ، يعني: أنّ قوله: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾: كلمة ألجىء إليها فقالها جزعاً مما دهاه من شؤم كفره، ولولا ذلك لم يقلها، ويجوز أن يكون المعنى: هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم، ويشفي صدورهم من أعدائهم، يعني: أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن، وصدّق قوله: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، ويعضده قوله: ﴿خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾ أي: لأوليائه، وقيل: (هنالك): إشارة إلى الآخرة، أي: في تلك الدار الولاية لله؛ كقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾، وقرئ: (الحق): بالرفع والجر صفة للولاية والله[1]، وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التأكيد؛ كقولك: هذا عبد الله الحق لا الباطل، وهي قراءة حسنة فصيحة، وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأنصحهم، وقرئ: (عقبا): بضم القاف

(١) قال محمود: «قرئ بالرفع والجر صفة للولاية والله تعالى... إلخ» قال أحمد: وقد تقدم الإنكار عليه في مثل هذا القول فإنه يوهم أن القراءات موكولة إلى رأي الفصحاء واجتهاد البلغاء، فتتفاوت في الفصاحة لتفاوتهم فيها، وهذا منكر شنيع. والحق: أنه لا يجوز لأحد أن يقرأ إلا بما سمعه فوعاه متصلاً بفلق إليه ﷺ منزلاً كذلك من السماء، فلاوقع لفصاحة الفصيح، وإنما هو ناقل كغيره، ولكن الزمخشري لا يفوته الثناء على رأس البدعة ومعدن الفتنة، فإن عمرو بن عبيد أول مصمم على إنكار القدر وهلم جرا إلى سائر البدع الاعتزالية، فمن ثم أثنى عليه.

وسكونها، وعقبي على فعلى، وكلها بمعنى: العاقبة.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾

﴿فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾: فالتفّ بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضاً، وقيل: نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روى ورف[1] رفيفاً؛ وكان حق اللفظ على هذا التفسير: فاختلط بنبات الأرض، ووجه صحته: أن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه، والهشيم: ما تهشم وتحطم، الواحدة هشيمة، وقرئ: «تذروه الريح»، وعن ابن عباس: «تذريه الرياح»: من أذرى: شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء؛ بحال النبات يكون أخضر وارفاً[2]، ثم يهيج، فتطيره الرياح كأن لم يكن، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾: من الإنشاء والإفناء: ﴿مُّقْتَدِرًا﴾.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾

﴿وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ﴾: أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان، وتفنى عنه كل ما تطمح إليه نفسه من حظوظ الدنيا، وقيل: هي الصلوات الخمس، وقيل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وعن قتادة: كل ما أريد به وجه الله، ﴿خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ أي: ما يتعلق بها من الثواب، وما يتعلق بها من الأمل؛ لأن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله، ويصيبه في الآخرة.

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾

قرئ: «تسير»: من سيرت، «ونسير»، من سيرنا، «وتسير»: من سارت، أي: تسير في الجو، أو يذهب بها، بأن تجعل هباء منبثًّا، وقرئ: «وترى الأرض»: على البناء للمفعول، ﴿بَارِزَةً﴾: ليس عليها ما يسترها مما كان عليها، ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾: وجمعناهم إلى الموقف، وقرئ: «فلم نغادر»: بالنون والياء، يقال: غادره وأغدره: إذا تركه، ومنه

---

(١) قوله: «ورف رفيفاً» في الصحاح: رف لونه رفا ورفيفاً: برق وتلألأ. وشجر رفيف: إذا تندت أوراقه (ع).

(٢) قوله: «بحال النبات يكون أخضر وارفاً» في الصحاح: ورف النبت، أي: اهتز من نضارته، فهو وارف، أي: ناضر رفاف شديد الخضرة (ع).

الغدر: ترك الوفاء، والغدير: ما غادره السيل، وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان، ﴿صَفًّا﴾: مصطفين ظاهرين، يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب أحد أحداً، ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ أي: قلنا لهم: لقد جئتمونا، وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير، ويجوز أن ينصب بإضمار اذكر، والمعنى: لقد بعثناكم كما أنشأناكم، ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وقيل: جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم أوّلاً؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٤]. فإن قلت: لم جيء بحشرناهم ماضياً بعد نسير وترى؟

قلت: للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز؛ ليعاينوا تلك الأهوال العظائم، كأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك، ﴿مَّوْعِدًا﴾: وقتاً لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث والنشور.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾

﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: للجنس وهو صحف الأعمال، ﴿يَٰوَيْلَتَنَا﴾: ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات، ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾: هنة صغيرة ولا كبيرة، وهي عبارة عن الإحاطة، يعني: لا يترك شيئاً من المعاصي إلا أحصاه، أي: أحصاها كلها، كما تقول: ما أعطاني قليلاً ولا كثيراً؛ لأن الأشياء إما صغار وإما كبار، ويجوز أن يريد: وإما كان عندهم صغائر وكبائر، وقيل: لم يجتنبوا الكبائر، فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة، وعن ابن عباس: الصغيرة: التبسم، والكبيرة: القهقهة، وعن سعيد بن جبير: الصغيرة: المسيس، والكبيرة: الزنا، وعن الفضيل: كان إذا قرأها قال: ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر، ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾: إلا ضبطها وحصرها، ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾: في الصحف: «عتيداً»، أو جزاء ما عملوا، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾: فيكتب عليه ما لم يعمل، أو يزيد في عقاب المستحق، أو يعذبه بغير جرم، كما يزعم من ظلم الله[1] في تعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ ۖ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ۖ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾

(١) قوله: «كما يزعم من ظلم الله» لعله بالتشديد، أي: نسب إليه الظلم (ع).

﴿كَانُوا﴾/ ٢١١ب: كلام مستأنف[١]، جار مجرى التقليل بعد استثناء إبليس من الساجدين، كأن قائلاً قال: ما له لم يسجد؟ فقيل: كان من الجن، ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾: والفاء للتسبيب ـ أيضاً ـ جعل كونه من الجن سبباً في فسقه؛ لأنه لو كان ملكاً كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله؛ لأنّ الملائكة معصومون البتّة، لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس؛ كما قال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٧]، وهذا الكلام المعترض تعمد من الله ـ تعالى ـ لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم، فما أبعد البون بين ما تعمده الله، وبين قول من ضادّه وزعم أنه كان ملكاً ورئيساً على الملائكة، فعصى، فلعن ومسخ شيطاناً، ثم وزّكه[٢] على ابن عباس، ومعنى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾: خرج عما أمره به ربه من السجود؛ قال [من الرجز]:

فَوَاسِقاً عَنْ قَصْدِهَا جَوَائِرَا[٣]

أو صار فاسقاً كافراً بسبب أمر ربه الذي هو قوله: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ﴾: الهمزة: للإنكار، والتعجب، كأنه قيل: أعقيب ما وجد منه تتخذونه، ﴿وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾: وتستبدلونهم بي، بئس البدل من الله إبليس لمن استبدله، فأطاعه بدل طاعته، ﴿ما أشهدتهم﴾، وقرئ: «ما أشهدناهم»، يعني: أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة؛ وإنما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الإلهية، فنفى مشاركتهم في الإلهية بقوله: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: لأعتضد بهم في خلقها[٤]، ﴿وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: ولا أشهدت بعضهم خلق بعض؛ كقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾ بمعنى: وما كنت متخذهم، ﴿عَضُدًا﴾ أي: أعوانا، فوضع المضلين موضع الضمير ذمًا لهم بالإضلال، فإذا لم يكونوا عضداً لي في الخلق، فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة؟ وقرئ: «وما كنت»: بالفتح: الخطاب لرسول الله ﷺ والمعنى: وما صح لك الاعتضاد بهم، وما ينبغي لك أن تعتز بهم، وقرأ علي ـ رضي الله عنه ـ: وما كنت متخذاً المضلين، بالتنوين على الأصل، وقرأ الحسن: «عضداً»: بسكون الضاد، ونقل ضمتها إلى العين، وقرئ: «عضْداً»: بالفتح وسكون

---

(١) قال محمود: «قوله تعالى كان من الجن مستأنف تعليل لفسوقه... إلخ» قال أحمد: والحق معه في هذا الفصل غير أن قوله: «تعمده الله تعالى» لفظة لا تروق ولا تليق، فإن التعمد إنما يوصف به عرفاً من يفعل في بعض الأحيان خطأ وفي بعضها تعمداً، فاجتنابها في حق الله تعالى واجب، والله الموفق.

(٢) قوله: «ثم وزكه» أي اتهمه به (ع).

(٣) تقدم.

(٤) قوله: «لأعتضد بهم في خلقها» أي لأستعين بهم (ع).

الضاد، «وعضداً»: بضمتين، «وعضداً»: بفتحتين: جمع عاضد، كخادم وخدم، وراصداً ورصد، من عضده: إذا قواه وأعانه.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾

﴿يَقُولُ﴾: بالياء والنون، وإضافة الشركاء إليه على زعمهم؛ توبيخاً لهم وأراد الجن، والموبق: المهلك، من وبق يبق وبوقاً، ووبق يوبق وبقاً: إذا هلك، وأوبقه غيره، ويجوز أن يكون مصدراً كالمورد والموعد، يعني: وجعلنا بينهم وادياً من أودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركاً يهلكون فيه جميعاً، وعن الحسن: (موبقا): عداوة، والمعنى: عداوة هي في شدتها هلاك؛ كقوله: لا يكن حبك كلفاً، ولا بغضك تلفاً، وقال الفراء: البين: الوصل، أي: وجلعنا تواصلهم في الدنيا هلاكاً يوم القيامة، ويجوز أن يريد: الملائكة، وعزيراً، وعيسى، ومريم، وبالموبق: البرزخ البعيد، أي: وجعلنا بينهم أمداً بعيداً تهلك فيه الأشواط لفرط بعده؛ لأنهم في قعر جهنم، وهم في أعلى الجنان، ﴿فَظَنُّوٓا۟﴾: فأيقنوا، ﴿مُّوَاقِعُوهَا﴾: مخالطوها واقعون فيها، ﴿مَّصْرِفًا﴾: معدلاً؛ قال [من الكامل]:

أَزُهَيْرَ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرِفِ ..... (١)

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾

﴿أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾: أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل إن فصلتها واحداً بعد واحد؛ خصومة ومماراة بالباطل، وانتصاب: (جدلا) على التمييز، يعني: أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء، ونحوه: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾

---

(١) أزهير هل عن شيبة من مصرف ... أم لا خلود لباذل متكلف

لأبي كبير الهذلي. والهمزة للنداء. وزهير ترخيم زهيرة اسم امرأة. والاستفهام إنكاري، أي: لا انصراف عن الشيب أو لا مهرب ولا مفر منه. وأم للإضراب الانتقالي والاستفهام الإنكاري، أي: بل لا ينتفي خلود الكريم الباذل لما عنده المتكلف غير طاقته في قرى الضيفان؛ لأن البذل لا يمنع الخلود كأنها كانت لامته على البذل مع الشيب والعقر، فأجابها بذلك. وفيه دلالة على غاية الكرم. ينظر: شرح أشعار الهذليين ص (١٠٨٩)، ولسان العرب (٩/ ٤٤)، (صرف)، (٩/ ٣٠٧)، (كلف)، وتاج العروس (١٥/ ٢٣١) (عزز)، (٢٣/ ١٣٢) (حرف).

﴿أَن﴾: الأولى: نصب، والثانية: رفع، وقبلها مضاف محذوف تقديره: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾: الإيمان والاستغفار، ﴿إِلَّآ﴾: انتظار، ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: وهي الإهلاك، ﴿أَوْ﴾: انتظار أن ﴿يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يعني: عذاب الآخرة، ﴿قُبُلًا﴾: عياناً، وقرئ: (قبلا): أنواعاً[1]: جمع قبيل، و (قبلا): بفتحتين: مستقبلاً.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿لِيُدْحِضُوا۟﴾: ليزيلوا ويبطلوا، من إدحاض القدم، وهو إزلاقها وإزالتها عن موطئها، ﴿وَمَآ أُنذِرُوا۟﴾: يجوز أن تكون (ما): موصولة، ويكون الراجع من الصلة محذوفاً، أي: وما أنذروه من العذاب، أو مصدرية بمعنى: وإنذارهم، وقرئ: «هزأ»: بالسكون، أي: اتخذوها موضع استهزاء، وجدالهم: قولهم للرسل، ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة﴾ [المؤمنون: ٢٤]، وما أشبه ذلك.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾

﴿بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾: بالقرآن؛ ولذلك رجع إليها الضمير مذكراً في قوله: ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾، ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾: فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر، ﴿وَنَسِىَ﴾: عاقبة، ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: من الكفر والمعاصي، غير مفكر فيها ولا ناظر في أنّ المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء، ثم علل إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم، وجمع بعد الإفراد حملاً على لفظ من، ومعناه: ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓا۟﴾: فلا يكون منهم اهتداء البتة، كأنه محال منهم لشدة تصميمهم، ﴿أَبَدًا﴾: مدة التكليف كلها، و ﴿إِذًا﴾: جزاء وجواب، فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول، بمعنى: أنهم/ ٢١٢ أ جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سبباً في انتفائه، وعلى أنه جواب للرسول على تقدير قوله: ما لي لا أدعوهم حرصاً على إسلامهم؟ فقيل: ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟﴾.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾﴾

---

(١) قوله: «قبلا عياناً. وقرئ قبلاً أنواعاً» هذه القراءة بكسر ففتح. والثانية بضمتين، كما يفيده الصحاح (ع).

﴿ٱلْغَفُورُ﴾: البليغ المغفرة، ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾: الموصوف بالرحمة، ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة أهل مكة عاجلاً من غير إمهال، مع إفراطهم في عداوة رسول الله ﷺ ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾: وهو يوم بدر، ﴿لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾: منجى ولا ملجأ، يقال: «وأل» إذا نجا، و «وأل إليه»: إذا لجأ إليه.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ يريد: قرى الأوّلين من ثمود وقوم لوط وغيرهم: أشار لهم إليها ليعتبروا، (تلك): مبتدأ، و (القرى): صفة؛ لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس، و ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾: خبر، ويجوز أن يكون: (تلك القرى): نصباً بإضمار أهلكنا على شريطة التفسير، والمعنى: وتلك أصحاب القرى أهلكناهم، ﴿لَمَّا ظَلَمُواْ﴾: مثل ظلم أهل مكة، ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾: وضربنا لإهلاكهم وقتاً معلوماً لا يتأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر، والمهلك: الإهلاك ووقته، وقرئ: (لمهلكهم): بفتح الميم، واللام مفتوحة أو مكسورة، أي: لهلاكهم أو وقت هلاكهم، والموعد: وقت، أو مصدر.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿لِفَتَىٰهُ﴾: لعبده، وفي الحديث: ليقل أحدكم: فتاي وفتاتي، ولا يقل: عبدي وأمتي (٨٩٨)، وقيل: هو يوشع ابن نون؛ وإنما قيل: فتاه؛ لأنه كان يخدمه ويتبعه،

---

٨٩٨ ـ أخرجه البخاري (٥/ ٤٨٥): كتاب العتق: باب كراهية التطاول على الرقيق، وقوله: عبدي أو أمتي، حديث (٢٥٥٢)، ومسلم (٨/ ٩ ـ النووي) كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، حديث (١٥/ ٢٢٤٩) وأبو داود (٤/ ٢٩٤): كتاب الأدب: باب لا يقول المملوك «ربي» و«ربتي»، حديث (٤٩٧٥)، والنسائي في «سننه الكبرى»: (٦/ ٦٩): كتاب عمل اليوم والليلة: باب النهي عن أن يقول الرجل لجاريته أمتي ولغلامه عبدي، حديث (١٠٠٧٠)، وباب النهي عن أن يقول المملوك لمالكه: مولاي حديث (١٠٠٧١ ـ ١٠٠٧٢) كلهم من طرق مختلفة عن أبي هريرة ﷺ.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف: متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه به وأتمّ منه. انتهى.

وقيل: كان يأخذ منه العلم.

فإن قلت: ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ إن كان بمعنى: لا أزول ـ من برح المكان ـ فقد دل على الإقامة لا على السفر، وإن كان بمعنى: لا أزال، فلا بد من الخبر.

قلت: هو بمعنى: لا أزال، وقد حذف الخبر؛ لأن الحال والكلام معاً يدلان عليه، أما الحال فلأنها كانت حال سفر، وأما الكلام فلأن قوله: ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له، فلا بد أن يكون المعنى: لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، ووجه آخر: وهو أن يكون المعنى: لا يبرح مسيري حتى أبلغ، على أن حتى أبلغ هو الخبر، فلما حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه وهو ضمير المتكلم، فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم، وهو وجه لطيف، ويجوز أن يكون المعنى: لا أبرح ما أنا عليه، بمعنى: ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ، كما تقول: لا أبرح المكان، ومجمع البحرين: المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر ـ عليهما السلام ـ وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق، وقيل: طنجة، وقيل: أفريقية، ومن بدع التفاسير: أن البحرين موسى والخضر؛ لأنهما كانا بحرين في العلم، وقرئ (مجمع): بكسر الميم، وهي في الشذوذ من يفعل، كالمشرق والمطلع من يفعل، ﴿أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾: أو أسير زماناً طويلاً، والحقب ثمانون سنة، وروي أنه لما ظهر موسى على مصر مع بني إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط، أمره الله أن يذكر قومه النعمة، فقام فيهم خطيباً فذكر نعمة الله وقال: إنه اصطفى نبيكم وكلمه، فقالوا له: قد علمنا هذا، فأي الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه حين لم يردّ العلم إلى الله، فأوحى إليه: بل أعلم منك عبدٌ لي عند مجمع البحرين وهو الخضر، وكان الخضر في أيام أفريدون قبل موسى ـ عليه السلام ـ وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر، وبقي إلى أيام موسى، وقيل: إن موسى سأل ربه: أيّ عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني، قال: فأيّ عبادك أقضى؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى، قال: فأيُّ عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه، عسى أن يصيب كلمة تدل على هدى، أو ترده عن ردى، فقال: إن كان في عبادك من هو أعلم مني فادللني عليه، قال: أعلم منك الخضر، قال: أين أطلبه؟ قال: على الساحل عند الصخرة، قال: يا رب، كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتاً في مكتل، فحيث فقدته فهو هناك، فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني، فذهبا يمشيان، فرقد موسى، فاضطرب الحوت ووقع في البحر، فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت، فأخبره فتاه بوقوعه في البحر، فأتيا الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوبه، فسلم عليه موسى، فقال: وأنى بأرضنا السلام، فعرّفه نفسه، فقال: يا موسى، أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا، فلما ركبا السفينة

جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء، فقال الخضر: ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر، ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ أي: نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما جعل أمارة على الظفر بالطلبة، وقيل: نسي يوشع أن يقدمه، ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء، وقيل: كان الحوت سمكة مملوحة، وقيل: إن يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل، فنزلا ليلة على شاطىء عين تسمى عين الحياة، ونام موسى، فلما أصاب السمكة برد الماء وروحه عاشت، وروي: أنهما أكلا منها، وقيل: توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش، ووقع في الماء ﴿سَرَبًا﴾: أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه/ ٢١٢ب مثل الطاق، وحصل منه في مثل السرب[١] معجزة لموسى أو للخضر، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾: الموعد، وهو: الصخرة؛ لنسيان موسى تفقد أمر الحوت وما كان منه، ونسيان يوشع أن يذكر لموسى ما رأى في حياته ووقوعه في البحر، وقيل: سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد إلى الظهر، وألقى على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد، ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك، فتذكر الحوت وطلبه؛ وقوله: ﴿مِن سَفَرِنَا هَذَا﴾: إشارة إلى مسيرهما وراء الصخرة.

فإن قلت: كيف نسي يوشع ذلك، ومثله لا ينسى[٢]؛ لكونه أمارة لهما على الطلبة التي تناهضاً من أجلها، ولكونه معجزتين ثنتين، وهما: حياة السمكة المملوحة المأكول منها ـ وقيل: ما كانت إلا شق سمكة ـ وقياء الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه، ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة إلى ظهر الغد، وحتى طلب موسى ـ عليه السلام ـ الحوت؟

قلت: قد شغله الشيطان بوساوسه، فذهب بفكره كل مذهب، حتى اعتراه النسيان وانضم إلى ذلك أنه ضرى بمشاهدة أمثاله عند موسى ـ عليه السلام ـ من العجائب،

---

(١) قوله: «في مثل السرب» في الصحاح «السرب» بيت في الأرض. تقول منه. انسرب الوحش في سربه. وانسرب الثعلب في جحره (ع).

(٢) قال محمود: «إن قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى... إلخ»؟ قال أحمد: وقد ورد في الحديث: أن موسى عليه السلام لم ينصب ولم يقل لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً، إلا منذ جاوز الموضع الذي حده الله تعالى له، فلعل الحكمة في إنساء الله تعالى ليوشع أن يتيقظ موسى عليه السلام لمنة الله تعالى على المسافر في طاعة وطلب علم، بالتيسير عليه وحمل الأعباء عنه، وتلك سنة الله الجارية في حق من صحت له نية في عبادة من العبادات: أن ييسرها ويحمل عنه مؤنتها، ويتكفل به ما دام على تلك الحالة، وموقع الإيقاظ أنه وجد بين حالة سفره للموعد وحالة مجاوزته بونا بيناً، والله أعلم. وإن كان موسى عليه السلام متيقظاً لذلك، فالمطلوب إيقاظ غيره من أمته، بل من أمة محمد عليه الصلاة والسلام إذا قص عليهم القصة، فما أورد الله تعالى قصص أنبيائه ليسمر بها الناس، ولكن ليشمر الخلق لتدبرها واقتباس أنوارها ومنافعها عاجلاً وآجلاً، والله أعلم.

واستأنس بإخوانه فأعان الإلف[1] على قلة الاهتمام، ﴿أَرَءَيْتَ﴾ بمعنى: أخبرني.

فإن قلت: ما وجه التئام هذا الكلام؟ فإن كل واحد من: (أرأيت)، و ﴿إِذْ أَوَيْنَآ﴾، و﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾: لا متعلق له؟

قلت: لما طلب موسى ـ عليه السلام ـ الحوت، ذكر يوشع ما رأى منه، وما اعتراه من نسيانه إلى تلك الغاية، فدهش وطفق يسأل موسى ـ عليه السلام ـ عن سبب ذلك، كأنه قال: أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة؟ فإني نسيت الحوت، فحذف ذلك، وقيل: هي الصخرة التي دون نهر الزيت، و ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾: بدل من الهاء في: (أنسانيه)، أي: وما أنساني ذكره إلا الشيطان، وفي قراءة عبد الله: «أن أذكركه»، و﴿عَجَبًا﴾: ثاني مفعولي اتخذ؛ مثل: (سربا)، يعني: واتخذ سبيله سبيلاً عجباً، وهو كونه شبيه السرب، أو قال: عجباً في آخر كلامه؛ تعجباً من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين، وقوله: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾: اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه، وقيل: إن (عجبا): حكاية لتعجب موسى ـ عليه السلام ـ وليس بذاك، ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى اتخاذه سبيلاً، أي: ذلك الذي كنا نطلب؛ لأنه أمارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر ـ عليه السلام ـ وقرئ ﴿نَبْغِ﴾: بغير ياء في الوصل، وإثباتها أحسن؛ وهي قراءة أبي عمرو، وأما الوقف، فالأكثر فيه طرح الياء؛ اتباعاً لخط المصحف، ﴿فَٱرْتَدَّا﴾: فرجعا في أدراجهما[2]، ﴿قَصَصًا﴾: يقصان قصصاً، أي: يتبعان آثارهما اتباعاً، أو فارتدا مقتصين، ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾: هي الوحي والنبوة، ﴿مِن لَّدُنَّا﴾: مما يختص بنا من العلم، وهو الإخبار عن الغيوب.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾

﴿رَشَدًا﴾: قرئ بفتحتين، وبضمة وسكون، أي: علماً ذا رشد، أرشد به في ديني.

فإن قلت: أما دلت حاجته إلى التعلم من آخر في عهده أنه ـ كما قيل ـ موسى بن ميشا، لا موسى بن عمران؛ لأن النبي يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وإمامهم المرجوع إليه في أبواب الدين؟

قلت: لا غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبيّ مثله؛ وإنما بغض منه أن يأخذه ممن دونه، وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس: إن نوفاً ابن امرأة كعب يزعم أنّ الخضر

---

(١) قوله: «فأعان الإلف على قلة الاهتمام» لعل المراد إلف يوشع، لرؤيته العجائب عند موسى (ع).

(٢) قوله: «فرجعا في أدراجهما» الدرج: الطريق، والجمع الأدراج. ومنه قولهم: رجعت أدراجي، أي: رجعت في الطريق الذي جئت منه، كذا في الصحاح (ع).

ليس بصاحب موسى، وأنّ موسى هو: موسى بن ميشا، فقال: كذب عدوّ الله (٨٩٩).

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾

نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد[1]، كأنها مما لا يصح ولا يستقيم، وعلل ذلك بأنه يتولى أموراً هي في ظاهرها مناكير، والرجل الصالح ـ فكيف إذا كان نبيًا ـ لا يتمالك أن يشمئز ويتمعض ويجزع إذا رأى ذلك ويأخذ في الإنكار، و ﴿خُبْرًا﴾: تمييز، أي: لم يحط به خبرك بمعنى: لم تخبره، فنصبه نصب المصدر.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾

﴿ولا أعصي﴾: في محل النصب، عطف على: (صابراً)، أي: ستجدني صابراً وغير عاص، أولاً في محل؛ عطفاً على ستجدني، رجا موسى ـ عليه السلام ـ لحرصه على العلم وازدياده، أن يستطيع معه صبراً بعد إفصاح الخضر عن حقيقة الأمر، فوعده بالصبر معلقاً بمشيئة الله، علماً منه بشدة الأمر وصعوبته، وأن الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق، هذا مع علمه أن النبي المعصوم الذي أمره الله بالمسافرة إليه واتباعه واقتباسه العلم منه، بريّ من أن يباشر ما فيه غميزة في الدين، وأنه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل، فكيف إذا لم يعلم.

﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾

---

٨٩٩ ـ أخرجه البخاري (٧/ ٩١): كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، حديث (٣٤٠١)، ومسلم (٨/ ١٤٨ ـ النووي) كتاب الفضائل: باب من فضائل الخضر عليه السلام حديث (١٧٠/ ٢٣٨٠)، والترمذي (٥/ ٣٠٩) كتاب تفسير القرآن: باب ومن سورة الكهف، حديث (٣١٤٩) كلهم من طريق عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفا البكالي يزعم أن موسى... الحديث. وأخرجه محمد بن إسحاق في سيرته كما في تخريج الكشاف للزيلعي (٢/ ٣٠٤).

قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه ابن إسحاق في المغازي عن الحسن بن عمارة عن الحاكم عن سعيد بن جبير بهذا ـ وساق قصّته كلها في الصحيحين بغير هذا اللفظ من رواية عمرو بن دينار عن سعيد. انتهى.

---

(١) قال محمود: «نفي الاستطاعة على وجه التأكيد... إلخ» قال أحمد: ومما يدل على أن موسى عليه السلام إنما حمله على المبادرة بالإنكار الالتهاب والحمية للحق: أنه قال حين خرق السفينة: أخرقتها لتغرق أهلها، ولم يقل لتغرقنا، فنسي نفسه واشتغل بغيره، في الحالة التي كل أحد فيها يقول نفسي نفسي، لا يلوي على مال ولا ولد، وتلك حالة الغرق؛ فسبحان من جبل أنبياءه وأصفياءه على نصح الخلق والشفقة عليهم والرأفة بهم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قرئ ﴿فَلَا تَسْئَلْنِي﴾: بالنون الثقيلة، يعني: فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئاً ـ وقد علمت أنه صحيح إلا أنه غبي عليك وجه صحته فحميت[1]، وأنكرت في نفسك ـ ألاَّ تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه، حتى أكون أنا الفاتح عليك، وهذا من آداب المتعلم مع العالم، والمتبوع مع التابع.

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾

﴿فَٱنطَلَقَا﴾: على ساحل البحر يطلبان السفينة، فلما ركبا، قال أهلها: هما من اللصوص، وأمروهما بالخروج، فقال صاحب السفينة: أرى وجوه الأنبياء، وقيل: عرفوا / ٢١٣ ا الخضر فحملوهما بغير نول؛ فلما لججوا أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء، فجعل موسى يسدُّ الخرق بثيابه ويقول: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾، وقرئ: «لتغرِّق»، بالتشديد، و «ليغرق أهلها»: من غرق وأهلها مرفوع، ﴿جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾: أتيت شيئاً عظيماً، من أمر الأمر: إذا عظم؛ قال [من الرجز]:

دَاهِيَةً دَهْيَاءَ إِدًّا إِمْرا[2]

﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾

﴿بِمَا نَسِيتُ﴾: بالذي نسيته، أو بشيء نسيته، أو بنسياني: أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي، أو أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان، يوهمه أنه قد نسي ليبسط عذره في الإنكار، وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب، مع التوصل إلى الغرض؛ كقول ابراهيم: هذه أختي، وإني سقيم، أو أراد بالنسيان: الترك، أي: لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة، يقال: رهقه إذا غشيه، وأرهقه إياه، أي: ولا تغشني، ﴿عُسْرًا﴾: من أمري، وهو اتباعه إياه، يعني: ولا تعسر عليّ متابعتك، ويسرها عليّ بالإغضاء وترك المناقشة، وقرئ: «عُسُرا»: بضمتين.

---

(١) قوله: «فحميت» في الصحاح «حميت عليه» بالكسر. غضبت (ع).

(٢) لقد لقي الأقوام مني نكرا داهية دهياء إذا إمرا

النكر: المنكر. والداهية: الحادثة المكروهة من شدائد الدهر. والدهياء: مبالغة في شدتها. والإد: المنكر كل الإنكار. والأمر: الشيء العظيم. يقال: إمر الشيء ـ بالكسر ـ: عظم، يصف نفسه بشدة النكاية للأعداء. ويجوز أن الكلام من قبيل التجريد.

ينظر: لسان العرب (٤/ ٣٣) (أمر)، وتاج العروس (١٠/ ٧٥) (أمر).

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾

﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ قيل: كان قتله فتل عنقه، وقيل: ضرب برأسه الحائط، وعن سعيد بن جبير: أضجعه ثم ذبحه بالسكين.

فإن قلت: لم قيل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ بغير فاء؟ و (حتى إذا لقيا غلاماً فقتله): بالفاء؟

قلت: جعل خرقها جزاء الشرط، وجعل قتله من جملة الشرط معطوفاً عليه، والجزاء: (قال أقتلت).

فإن قلت: فلم خولف بينهما؟

قلت: لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب، وقد تعقب القتل لقاء الغلام، وقرئ: «زاكية»، و «زكية»، وهي الطاهرة من الذنوب، إما لأنها طاهرة عنده؛ لأنه لم يرها قد أذنبت، وإما لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث، ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ يعني: لم تقتل نفساً فيقتص منها، وعن ابن عباس أن نجدة الحروري كتب إليه: كيف جاز قتله، وقد نهى رسول الله ﷺ عن قتل الولدان؟ فكتب إليه: إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل (٩٠٠) ﴿نُّكْرًا﴾، وقرئ بضمتين، وهو المنكر، وقيل: النكر أقل من الإمر؛ لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة، وقيل: معناه: جئت شيئاً أنكر من الأول؛ لأن ذلك كان خرقاً يمكن تداركه بالسد، وهذا لا سبيل إلى تداركه.

فإن قلت: ما معنى زيادة: ﴿لك﴾؟

قلت: زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية، والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية.

---

٩٠٠ ـ أخرجه مسلم (٣/ ١٤٤٤ ـ ١٤٤٥) كتاب الجهاد: باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم حديث (١٣٧/ ١٨١٢) من طريق يزيد بن هرمز قال: كتب نجدة بن عامر إلى ابن عباس يسأله عن العبد والمرأة يحضران المغنم هل يقسم لهما... الحديث.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرج أبو يعلى نحوه، وقال في آخره: «وكان لك ذلك» وفي رواية له: «فقلت ولكنك لا تعلم» فاجتنبهم وأصله في مسلم بغير هذا السياق. وأوله: كتب نجدة بن عامر إلى ابن عباس يسأله عن قتل الولدان ـ الحديث» وفيه: «وسألتني عن قتل الولدان، فإن رسول الله ﷺ لم يقتلهم إلا أن يعلم منهم ما علم صاحب موسى من الغلام الذي قتله. انتهى.

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾

﴿بَعْدَهَا﴾: بعد هذه الكرة أو المسألة، ﴿فَلَا تُصَٰحِبْنِى﴾: فلا تقاربني، وإن طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك، وقرئ: (فلا تصحبني): فلا تكن صاحبي، وقرئ: (فلا تصحبني) أي: فلا تصحبني إياك ولا تجعلني صاحبك، ﴿مِن لَّدُنِّى عُذْرًا﴾: قد أعذرت، وقرئ: «لدُني»: بتخفيف النون، و «لدْني»: بسكون الدال وكسر النون؛ كقولهم في عضد: عضد، وعن رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ أَخِي مُوسَى اسْتَحْيَا فَقَالَ ذلك (٩٠١)، وقَالَ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى أَخِي مُوسَى، لَوْ لَبِثَ مَعَ صَاحِبِهِ لأَبْصَرَ أَعْجَبَ الأَعَاجِيبِ[1]» (٩٠٢).

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾: هي أنطاكية، وقيل: الأبلة، وهي أبعد أرض الله من السماء، ﴿أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾، وقرئ: «يضيفوهما»، يقال: ضافه إذا كان له ضيفاً، وحقيقته: مال إليه، من ضاف السهم عن الغرض؛ ونظيره: زاره، من الإزورار، وأضافه وضيفه: أنزله وجعله ضيفه، وعن النبي ﷺ: «كَانُوا أَهْلَ قَرْيَةٍ لِئَاماً»[2] (٩٠٣). وقيل: شر القرى التي لا

---

٩٠١ ـ أخرجه ابن مردويه في «تفسيره» كما في تخريج الكشاف (٢/ ٣٠٥) من طريق داود بن أبي هند عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه ابن مردويه من رواية داود بن أبي هند، عن عبد الله بن عمير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فذكر القصة. وفيها: «رحمة الله علينا وعلى موسى استحيا عند ذلك. فقال: ﴿إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني ـ الآية﴾. انتهى.

٩٠٢ ـ أخرجه أبو داود (٤/ ٣٣) كتاب الحروف والقراءات حديث (٣٩٨٤)، والترمذي (٥/ ٤٦٣) كتاب الدعاء: باب ما جاء أن الداعي يبدأ بنفسه حديث (٣٣٨٥) مختصراً، والنسائي في «التفسير» (٣٣٠)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢١٩) رقم (٩٢٧٥)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٨٦)، والحاكم (٢/ ٥٧٤) من طريق أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب به، وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٣٠)، وزاد نسبته لابن مردويه.
قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان ومن رواية حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبيّ. في أثناء حديث وأصله من مسلم. انتهى.

٩٠٣ ـ ذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣٠٧)، وعزاه للنسائي، وتقدم في صحيح مسلم: فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية لئاماً فطافا في المجلس. . =

يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه، ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾: استعيرت الإرادة للمداناة والمشارفة، كما استعير الهمّ والعزم لذلك؛ قال الراعي [من الكامل]:

فِي مَهْمَهٍ قَلِقَتْ بِهِ هَامَاتُهَا ... قَلَقَ الفُئُوسِ إِذَا أَرَنَّ نُصُولاَ[1]

وقال [من الوافر]:

يُرِيدُ الرِّمْحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ ... وَيَعْدِلُ عَنْ دِمَاءِ بَنِي عَقِيلِ[2]

وقال حسان [من الخفيف]:

إِنَّ دَهْراً يَلِفُّ شَمْلِي بِجُمْلِ ... لَزَمَانٌ يَهُمُّ بِالإِحْسَانِ[3]

وسمعت من يقول: عزم السراج أن يطفأ، وطلب أن يطفأ، وإذا كان القول، والنطق، والشكاية، والصدق، والكذب، والسكوت، والتمرد، والإباء، والعزة، والطواعية، وغير ذلك، مستعارة للجماد ولما لا يعقل، فما بال الإرادة؟ قال [من الرجز]:

إِذْ قَالَتِ الأَنْسَاعُ لِلبَطْنِ الْحَقِي[4]

= قال الحافظ في تخريج الكشاف: أخرجه النسائي من رواية إسرائيل عن ابن إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله: ﴿فأبوا أن يضيفوهما﴾ قال: «كانوا أهل قرية لئاماً» وهو في مسلم بلفظ: «فانطلقا حتى أتيا أهل قرية لئاماً». انتهى.

---

(١) للراعي يصف الإبل بأنها في مهمه: أي مفازة، قلقت: أي تحركت فيه هاماتها: أي رؤوسها. قلق الفؤوس: أي كتحرك الفؤوس جمع فأس وهي آلة الحفر، إذا أردن: أي الفؤوس، نصولاً: أي قرن منه، فالأرد مجاز مرسل، ونصولها: خروج الحديدة من المقبض. والنصول في كل شيء: الخروج، والإنصال: الإخراج، ولقد شبه رؤوس الإبل مع أعناقها بالفؤوس.
ينظر: ديوانه ص (٢٢٢)، ولسان العرب (٣/ ١٨٩) (رود).

(٢) الإرادة هنا مجاز عن التوجه. ويجوز أن الإسناد مجاز، لأن المريد صاحب الرمح. والأوجه أنه شبه الرمح بإنسان على طريق المكنية، وإسناد الإرادة والعدول إليه تخييل، أي: يريد أن يشرب من صدر أبي براء، لا من دماء هؤلاء.
ينظر: لسان العرب (٣/ ١٨٩) (رود).

(٣) لحسان بن ثابت، ولففت الشيء: طويته وأدرجته، من باب رد. والشمل. المتفرق، ويطلق على المجتمع من الأمور. وجمل: اسم محبوبته. ويروى: بسعدى. يقول: إن الدهر الذي يجمع شملي بمحبوبتي لدهر يهم بالإحسان ويريده، وهم من باب رد أيضاً، أي: دهر يريد الإحسان لا الإساءة كعادة الدهر، فشبه الزمان بإنسان يصح منه إرادة الإحسان على طريق المكنية، والهم تخييل. ويحتمل أن إسناد الهم له مجاز عقلي كإسناد اللف، وهما في الحقيقة لله.
ينظر: لسان العرب (٤/ ٢٩٣) (دهر)، وتهذيب اللغة (٦/ ١٩٢)، وديوان الأدب (١/ ١٠٧)، وتاج العروس (١١/ ٣٤٦) (دهر).

(٤) تقدم.

[ومن الرجز]:

تَـقُـولُ سِـنِّـي لِـلـنَّـوَاةِ طِـنِّـي

[ومن البسيط]:

..... لاَ يَنْطِقُ اللَّهْوُ حَتّى ينْطِقَ العُودُ[1]

[ومن الكامل]:

..... وَشَكا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ[2]

[ومن الطويل]:

فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقاً وَهْوَ صَادِقِي ..... [3]

(ولما سكت عن موسى الغضب) [من الطويل]:[4]

..... تَمَرَّدَ مَارِدٌ وعَزَّ الأَبْلَقُ[5]

ولبعضهم: [ومن الكامل]:

---

(١) فاستنطق العود قد طال السكوت به لا ينطق اللهو حتى ينطق العود

لأبي نواس، شبه صوت العود على وجه الاستقامة والحسن بالنطق بالغناء على طريق التصريحية. أو شبه العود بإنسان على طريق المكنية والنطق تخييل، والسين والتاء للطلب، والسكوت ترشيح لذلك؛ لأنه ضد التكلف. والمراد بنطق اللهو زيادته وحسنه، فهو من باب المشاكلة، وهل هي حقيقة أو مجاز أو كناية أو قسم رابع؟ خلاف بين القوم بين في البيان.

(٢) فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلي بعبرة وتحمحم

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي

لعنترة بن شداد من معلقته، يصف فرسه بأنه ازور أي مال من وقوع الرماح بلبانه، وهو موضع اللبب من صدره، وشبهه بالعاقل على طريق المكنية والشكاية تخييل، والعبرة: البكاء. والحمحمة: صوت الصهيل يشبه الحنين، لو كان يعلم ما هي المحاورة والمخاطبة لاشتكى إليّ وخاطبني حقيقة، وإنما يشكو إلي بالعبرة والتحمحم فقط. وفسره بقوله: ولكان مكلماً لي لو علم الكلام، وذلك مبالغة في شدة الحرب.

(٣) لهفي على القوم الذين تجمعوا بذي السيد لم يلقوا علياً ولا عمرا

فإن يك ظني صادقاً وهو صادقي بشملة يحبسهم بها محبساً وعرا

لكنز أم شملة بن برد المنقري، وذو السيد ـ بالكسر ـ: موضع المعركة، والسيد: الذئب. وقولها «وهو صادقي» اعتراض. وبشملة: متعلق بظني. تقول: يا تلهفي على القوم الذين اجتمعوا في ذلك الموضع ولم يلاقهم أحد هذين الفارسين، فقتلوا برداً أبا شملة. فإن يك ظني به صادقاً مع أن عادته يصدقني، يحبسهم شملة في تلك المعركة حبساً صعباً فيأخذ ثأر أبيه. ويجوز أن محبساً ظرف يدل من بها. وشبهت الظن بمن يصح منه الصدق في الخبر على طريق الكناية، والصدق تخييل لذلك. أو المعنى: فإن يك ظني مطابقاً للواقع.

(٤) وقد قالت الزبا لحصن سموءل تمرد مارد وعز الأبلق

مارد: هو حصن دومة الجندل. والأبلق: حصن سموأل، قصدتهما الزبا ملكة الجزيرة فاستصعبا =

يَـأْبَـى عَـلَـى أَجْـفَـانِـهِ إِغْـفَـاءَهُ هَـمٌّ إِذَا انْـقَـادَ الـهُـمُـومُ تَـمَـرَّدَا[1]

[ومن الكامل]:

أَبَـتِ الـرَّوَادِفُ وَالـثُّـدِيُّ لِـقُـمْـصِـهَـا مَـسَّ الـبُـطُـونِ وَأَنْ تَـمَـسَّ ظُـهُـورَا[2]

(قالتا أتينا طائعين): ولقد بلغني أن بعض المحرفين لكلام الله ـ تعالى ـ ممن لا يعلم، كان يجعل الضمير للخضر؛ لأن ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم، أراه أعلى الكلام طبقة أدناه منزلة، فتمحل ليردّه إلى / ٢١٣ ب ما هو عنده أصح وأفصح، وعنده أن ما كان أبعد من المجاز كان أدخل في الإعجاز، وانقض: إذا أسرع سقوطه، من انقضاض الطائر وهو يفعل، مطاوع قضضته، وقيل: افعلّ من النقض، كاحمرّ من الحمرة، وقرئ: «أن ينقض» من النقض، و «أن ينقاص»؛ من انقاصت السن إذا انشقت طولا؛ قال ذو الرمة [من البسيط]:

= عليها، فقالت ذلك، وصار يضرب مثلاً. وقوله: لحصن سموأل، أي: ولحصن دومة الجندل. تمرد: صار أملس ناعماً، ومرد مردا ومرودة، إذا كان أملس لا شعر فيه والمكان لا نبات فيه، أو تمرد بمعنى تشيطن، وفعل أهله فعل المردة من الجن، فهو لا يستطيع أحد طلوعه. وعز إن كان مضارعه بضم العين كان متعدياً بمعنى غالب، وإن كان بكسرها كان لازماً بمعنى امتنع. والمعنى: أنها لم تقدر على بلوغ مرادها منهما لشجاعة أهلهما.

(١) للزمخشري. والهم: ما يهتم به، وهو فاعل. والإغفاء: النوم الخفيف، وهو مفعول، وذلك مجاز عن تسبب الهم في منع النوم. وانقياد الهموم: مجاز عن سكونها، وتمرد الهم مجاز عن تزايده وكثرة خطوره بالبال. أو شبه الهموم بحيوانات يصح منها الانقياد والتمرد على طريق المكنية، والتمرد ضد الانقياد، وهما تخييل.

(٢) أبت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا
وإذا الرياح مع العشي تناوحت نبهن حاسدة وهجن غيورا
الإباء: المنع الاختياري فشبه الروادف والثدي لكبرها بمن يصح منه ذلك على طريق المكنية والإباء تخييل. والأقرب أنه مجاز مرسل، والمراد به مطلق المنع، والكلام بعد ذلك كناية عن نهود ثدييها وكبر ردفيها وضمور خصريها. وفيه لف ونشر غير مرتب، لأن مس البطون يرجع للثدي، ومس الظهور يرجع للروادف. وعبر بالجمع عن غيره مجازاً. أو اعتبر الأجزاء، فالتجوز في مفرد الجمع. والثدي بالتشديد: جمع ثدي بالتخفيف. والقمص: جمع قميص. وتناوح الجبلان. تقابلا، فالمراد بالتناوح: التقابل، بحيث يجيء بعض الرياح من أمامها وبعضه من خلفها، فتظهر روادفها ونهودها وتلتصق الثياب بخصرها فيظهر ضموره، فتنبه الحاسدة لها، ويهيج الغيور لكراهة ذلك من الرياح. وهاج الشيء: هام، وهاجه: هيمه، وهيجه: هيمه. وما هنا من الوسط. ويجوز أنه شبه على طريق المكنية. أو شبه أصواتها اللينة بالتناوح على طريق التصريحية، ثم جعل ذلك كناية عن تقابلها لأنها إنما يكون لها أصوات إذا تقابلت فاضطربت، ومع: بمعنى في.
البيت في ديوان عمر بن أبي ربيعة في الشعر المنسوب إليه (٤٩٢) وفي الحماسة (٢/ ٩٣) ورصف المباني ص (٤٣٢).

. . . . . مِنْقَاصٌ وَمُنْكَثِبٌ[1]

بالصاد غير معجمة، ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾، قيل: أقامه بيده، وقيل: مسحه بيده فقام واستوى، وقيل: أقامه بعمود عمده به، وقيل: نقضه وبناه، وقيل: كان طول الجدار في السماء مائة ذراع، كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم، وقد لزتهما الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسألة، فلم يجدا مواسياً؛ فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، وطلبت على عملك جعلاً حتى ننتعش ونستدفع به الضرورة، وقرئ: «لتخذت»، والتاء في «تخذ»: أصل كما في تبع، واتخذ افتعل منه، كاتبع من تبع، وليس من الأخذ في شيء.

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾

فإن قلت: ﴿هَٰذَا﴾: إشارة إلى ماذا؟

قلت: قد تصوّر فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى ـ عليه السلام ـ: «إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني، فأشار إليه وجعله مبتدأ وأخبر عنه، كما تقول: هذا أخوك، فلا يكون «هذا»: إشارة إلى غير الأخ، ويجوز أن يكون إشارة إلى السؤال الثالث، أي: هذا الاعتراض سبب الفراق، والأصل: هذا فراق بيني وبينك، وقد قرأ به ابن أبي عبلة، فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به.

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾

﴿لِمَسَٰكِينَ﴾ قيل: كانت لعشرة إخوة، خمسة منهم زمنى، وخمسة يعملون في البحر، ﴿وَرَآءَهُمْ﴾: أمامهم؛ كقوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وقيل: خلفهم، وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره، فأعلم الله به الخضر وهو: «جلندي»[2].

---

(١) يغشى الكناس بروقيه ويهدمه ... من هائل الرمل منقاص ومنكثب

لذي الرمة يصف ثوراً وحشيا. والكناس: بيت الوحش. وروقاه: قرناه. والمنقاص ـ كالمختار ـ: المتساقط من جانب طول الكناس. والمنكثب ـ بالمثلثة ـ المجتمع. وروي: منقاض، بالمعجمة. والمعنى واحد، أي: يحفر الكناس بقرنيه، ليستتر من المطر، ويهدمه المتساقط المجتمع من الرمل الرخو الهايل.

ينظر: ديوانه ص ٨٨، وأساس البلاغة (قيص)، وجمهرة أشعار العرب ص ٩٥٧، وتاج العروس (قيص)، وبلا نسبة في كتاب العين ٥/ ١٨٥.

(٢) قوله: «وهو جلندي»: في الخازن: وكان اسمه الجلندي الأزدي، وكان كافراً. وقيل: كان اسمه حرد بن برد (ع).

فإن قلت: قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾: مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب[1]، فلم قدّم عليه؟

قلت: النية به التأخير، وإنما قدم للعناية، ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده؛ ولكن مع كونها للمساكين، فكان بمنزلة قولك: زيد ظني مقيم، وقيل في قراءة أبيّ وعبد الله: «كل سفينة صالحة».

﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

وقرأ الجحدري: «وكان أبواه مؤمنان»، على أن «كان»: فيه ضمير الشأن، ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾: فخفنا أن يغشى الوالدين المؤمنين؛ طغياناً عليهما، وكفراً؛ لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه، ويلحق بهما شراً وبلاء، أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره، فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر، أو يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله، فيرتدا بسببه، ويطغيا ويكفرا بعد الإيمان، وإنما خشي الخضر منه ذلك؛ لأن الله ـ تعالى ـ أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره، وأمره إياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته، وفي قراءة أبيّ: «فخاف ربك»، والمعنى: فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الأمر فغيره، ويجوز أن يكون قوله: (فخشينا): حكاية لقول الله تعالى، بمعنى: فكرهنا؛ كقوله: (لأهب لك)، وقرئ: «يبدّلهما»: بالتشديد، والزكاة: الطهارة والنقاء من الذنوب، والرحم: الرحمة

(١) قال محمود: «إن قلت قوله ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ مسبب عن خوف الغصب عليها... إلخ» قال أحمد: وكأنه جعل السبب في إعابتها كونها لمساكين، ثم بين مناسبة هذا السبب للمسبب بذكر عادة الملك في غصب السفن، وهذا هو حد الترتيب في التعليل أن يرتب الحكم على السبب ثم يوضح المناسبة فيما بعد، فلا يحتاج إلى جعله مقدماً والنية تأخيره، والله أعلم. ولقد تأملت من فصاحة هذه الآي والمخالفة بينها في الأسلوب عجباً. ألا تراه في الأولى أسند الفعل إلى ضميره خاصة بقوله ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ وأسنده في الثانية إلى ضمير الجماعة والمعظم نفسه في قوله ﴿فأردنا أن يبد لهما وبهما﴾ ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا﴾ ولعل إسناد الأول إلى نفسه خاصة من باب الأدب مع الله تعالى، لأن المراد ثم عيب، فتأدب ثم نسب الإعابة إلى نفسه. وإما إسناد الثاني إلى الضمير المذكور، فالظاهر أنه من باب قول خواص الملك: أمرنا بكذا، أو دبرنا كذا، وإنما يعنون أمر الملك ودبر، ويدل على ذلك قوله في الثالثة ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ فانظر كيف تغايرت هذه الأساليب ولم تأت على نمط واحد مكرر يمجها السمع وينبو عنها، ثم انفجرت هذه المخالفة على رعاية الأسرار المذكورة، فسبحان اللطيف الخبير.

obeikandi.com

والعطف، وروي أنه ولدت لهما جارية تزوّجها نبي، فولدت نبيًا هدى الله على يديه أمة من الأمم، وقيل: ولدت سبعين نبيًا، وقيل: أبدلهما ابنا مؤمناً مثلهما، قيل: اسما الغلامين: أصرم، وصريم، والغلام المقتول: اسمه الحسين، واختلف في الكنز، فقيل: مال مدفون من ذهب وفضة (٩٠٤)، وقيل: لوح من ذهب مكتوب فيه: عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله (٩٠٥)، وقيل: صحف فيها

---

٩٠٤ ـ أخرجه الترمذي (٥/ ٣١٣) كتاب التفسير: باب ومن سورة الكهف حديث (٣١٥٢)، والحاكم (٢/ ٣٦٩) من طريق يزيد بن يوسف عن يزيد بن يزيد بن جابر عن مكحول عن أم الدرداء عن أبي الدرداء مرفوعاً وقال الترمذي: حديث غريب. وقال الحاكم: صحيح.
وتعقبه الذهبي فقال: يزيد بن يوسف متروك، وإن كان حديثه أشبه ما روي في تفسير الكنز، والحديث ذكره الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣٠٧) وعزاه أيضاً للطبراني في معجمه والبزار، ونقل قول البزار: إسناده حسن، ويزيد بن يوسف ليس به بأس، ومن قبله وبعده ثقات أ.هـ.
قلت: وكلام البزار ـ رحمه الله ـ فيه نظر؛ فالجمهور على تضعيف هذا الرجل، وقال الذهبي في «الكاشف» (٣/ ٢٨٨): واه، وقال في «ديوان الضعفاء» (٤٧٥٤): تركوه. وقال الحافظ في «التقريب» (٢/ ٣٧٢): ضعيف. وينظر «تهذيب التهذيب» (١١/ ٣٧٣).
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه الترمذي، والحاكم، والبزار، والطبراني، وابن عديّ من طريق مكحول، عن أم الدرداء عن أبي الدرداء، وفيه يزيد بن الصنعاني وهو ضعيف.

٩٠٥ ـ رُوي هذا مرفوعاً، وموقوفاً. أما المرفوع فأخرجه البزار كما في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣٠٧)، وقال: لا نعلمه يروى عن أبي ذر إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد. وورد مرفوعاً أيضاً من حديث أنس بن مالك أخرجه الواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٦٢ ـ بتحقيقنا) من طريق ضرار بن صرد ثنا محمد بن مروان ثنا أبان عن أنس به مرفوعاً. قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: وأبان والسُّدِّيُّ الصغير متروكان. ومن طريق محمد بن مروان السدي أخرجه ابن شاهين في كتاب الجنائز؛ كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢/ ٣٠٩) وورد مرفوعاً أيضاً من حديث علي بن أبي طالب أخرجه ابن مردويه؛ كما في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣٠٨) أما الموقوف:
فورد عن ابن عباس، أخرجه الطبراني في «الدعاء» كما في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣٠٨) من طريق رشدين بن سعد عن أبي حازم عن ابن عباس موقوفاً، وله طريق آخر أخرجه الدارقطني في غرائب مالك. من طريق محمد بن صالح بن فيروز عن مالك عن نافع عن ابن عمر سئل ابن عباس به.
وقال الدارقطني: هذا باطل عن مالك وجعفر بن محمد ومحمد بن صالح مجهولان.
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه البزار من رواية ابن حجيرة عن أبي ذر مرفوعاً بهذا، وأتم منه، وقال: لا نعلمه عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد. وروى الدارقطني في غرائب مالك من طريق محمد بن صالح بن فيروز، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر قال: «سئل ابن عباس عن الكنز. فذكره ـ وقال: هذا باطل عن مالك. وروى ابن عديّ. من رواية أبين بن سفيان والطبراني في الدعاء، من رواية رشدين بن سعد =

علم، والظاهر لإطلاقه: أنه مال، وعن قتادة: أحل الكنز لمن قبلنا وحرّم علينا، وحرّمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا: أراد قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾. ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾: اعتداد بصلاح أبيهما وحفظ لحقه فيهما، وعن جعفر بن محمد الصادق: كان بين الغلامين وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء، وعن الحسين بن علي ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين؟ قال: بصلاح أبيهما، قال: فأبي وجدّي خير منه، فقال: قد أنبأنا الله أنكم قوم خصمون، ﴿رَحْمَةً﴾: مفعول له، أو مصدر منصوب بأراد ربك؛ لأنه في معنى: رحمهما، ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ﴾: وما فعلت ما رأيت، ﴿عَنْ أَمْرِى﴾: عن اجتهادي ورأيي؛ وإنما فعلته بأمر الله.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾.

ذو القرنين: هو الإسكندر الذي ملك الدنيا، قيل: ملكها مؤمنان: ذو القرنين، وسليمان، وكافران: نمروذ، وبختنصر (٩٠٦)، وكان بعد نمروذ، واختلف فيه، فقيل: كان عبداً صالحاً، ملكه الله الأرض، وأعطاه العلم والحكمة، وألبسه الهيبة، وسخر له النور والظلمة، فإذا سرى يهديه النور من أمامه، وتحوطه الظلمة من ورائه، وقيل: نبيًّا، وقيل: ملكاً من الملائكة، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رجلاً يقول: يا ذا القرنين، فقال: اللهم، غفراً ما رضيتم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة، وعن عليّ ـ رضي الله عنه ـ: سخر له السحاب، ومدّت له الأسباب، وبسط له

= كلاهما عن أبي حازم عن ابن عباس نحوه، وعن علي مثل لفظ المصنف أخرجه البيهقي في الشعب من رواية جويبر عن الضحاك، عن النزال بن سبرة عنه. وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر عن علي مرفوعاً. ورواه ابن شاهين في الجنائز. والواحدي من رواية محمد بن مروان السدي الصغير: عن أبان عن أنس مرفوعاً أيضاً. وأبان والسدي الصغير متروكان. انتهى.

٩٠٦ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣٠٩): رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الفضائل بسنده عن مجاهد.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه ابن أبي شيبة من طريق مجاهد. قال: «لم يملك الأرض منها إلا أربعة: مؤمنان، وكافران فذكره». انتهى.

النور، وسئل عنه، فقال: أحبه الله فأحبه / ٢١٤ أ، وسأله ابن الكوّا: ما ذو القرنين؟ أملك أم نبيّ؟ فقال: ليس بملك ولا نبيّ، ولكن كان عبداً صالحاً، ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات، ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات، فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله، قيل: كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى، وعن النبي ﷺ: «سُمِّي ذَا القَرْنَيْنِ لأَنَّهُ طَافَ قَرْنَي الدُّنْيَا» (٩٠٧). يعني: جانبيها شرقها وغربها، وقيل: كان له قرنان، أي: ضفيرتان، وقيل: انقرض في وقته قرنان من الناس، وعن وهب: لأنه ملك الروم وفارس، وروى: الروم والترك، وعنه: كانت صفحتا رأسه من نحاس، وقيل: كان لتاجه قرنان، وقيل: كان على رأسه ما يشبه القرنين، ويجوز أن يلقب بذلك؛ لشجاعته، كما يسمى الشجاع: كبشاً؛ لأنه ينطح أقرانه، وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره، والسائلون: هم اليهود، سألوه على جهة الامتحان، وقيل: سأله أبو جهل وأشياعه، والخطاب في: ﴿عَلَيْكُم﴾: لأحد الفريقين، ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: من أسباب كل شيء، أراده من أغراضه ومقاصده في ملكه، ﴿سَبَبًا﴾: طريقاً موصلاً إليه، والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة، فأراد بلوغ المغرب، ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾: يوصله إليه حتى بلغ؛ وكذلك أراد المشرق، فأتبع سبباً، وأراد بلوغ السدّين فاتبع سبباً، وقرئ: «فأتبع»، قرئ: «حمئة»: من حمئت البئر: إذا صار فيها الحمأة، وحامية بمعنى: حارّة، وعن أبي ذر: كنت رديف رسول الله ـ ﷺ على جمل، فرأى الشمس حين غابت، فقال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ هٰذِهِ؟» فقلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فَإِنَّهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ» ح (٩٠٨)، وهي قراءة ابن مسعود، وطلحة، وابن

---

٩٠٧ ـ قال الزيلعي (٢/ ٣٠٩): غريب. ورواه الدارقطني في كتاب «المؤتلف والمختلف» من قول الزهري، فقال: حدثنا مسلم بن عبد الله الحسيني ثنا الخضر بن داود ثنا الزبير بن بكار ثنا إبراهيم ابن المنذر ثنا عبد العزيز بن عمران عن سليمان بن أسيد عن الزهري قال: إنما سمي ذا القرنين؛ لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مطلعها فسمي ذا القرنين. أ.هـ.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

لم أجده مرفوعاً، وإنما رواه الدارقطني في المؤتلف. من رواية عبد العزيز بن عمران. عن سليمان ابن أسيد عن الزهري قال: إنما سمي ذا القرنين؛ لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مطلعها. انتهى.

٩٠٨ ـ قال الحافظ بن حجر: كذا في نسخ الكشاف: على جمل، والذي في كتب الحديث على حمار ولم يصرح فيه بالإرداف. أ.هـ. والحديث أخرجه أبو داود (٤/ ٣٧) كتاب الحروف والقراءات: باب (١) حديث (٤٠٠٢) والحاكم (٢/ ٢٤٤) وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

كذا في نسخ الكشاف «على جمل». والذي في كتب الحديث «على حمار» ولم يصرح فيه =

عمر، وابن عمرو، والحسن، وقرأ ابن عباس: «حمئة»، وكان ابن عباس عند معاوية، فقرأ معاوية: «حامية»، فقال ابن عباس: حمئة، فقال معاوية لعبد الله بن عمرو: كيف تقرأ؟ قال: كما يقرأ أمير المؤمنين، ثم وجه إلى كعب الأحبار، كيف تجد الشمس تغرب؟ قال: في ماء وطين، كذلك نجده في التوراة، وروي: في ثأط، فوافق قول ابن عباس، وكان ثمة رجل، فأنشد قول تبع [من الكامل]:

فَرَأَى مَغِيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ مَآبِهَا ... فِي عَيْنِ ذِي خُلُبٍ وَثَأْطٍ حَرْمَدِ[1]

أي: في عين ماء ذي طين وحمإ أسود، ولا تنافي بين الحمئة والحامية، فجائز أن

= بالإرداف. عن أبي داود، والحاكم من طريق الحكم بن عيينة عن إبراهيم التيمي عن أبيه، عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنت مع رسول الله ﷺ وهو على حمار، والشمس عند غروبها فقال: «هل تدري أين تغرب هذه»؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تغرب في عين حامية» زاد الحاكم: «غير مهموزة». ورواه ابن أبي شيبة، وأحمد وأبو يعلى، والبزار، وزاد: «وتنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش، فإذا كان خروجها أذن الله لها وإذا أراد الله أن يطلعها من مغربها حبسها، فيقول. اطلعي من حيث غربت. فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها» وقال تفرد به سفيان بن حسين عن الحاكم. ورواه الجماعة عن إبراهيم التيمي. وهو في الصحيحين دون قوله «تغرب في عين حامية» وأوله «كنت مع النبي ﷺ جالساً» الحديث. انتهى.

---

(١) قد كان ذو القرنين جدي مسلماً ... ملكاً تدين له الملوك وتسجد
بلغ المغارب والمشارق يبتغي ... أسباب أمر من حكيم مرشد
فرأى مغار الشمس عند مآبها ... في عين ذي خلب وثأط حرمد

لتبع الأكبر اليماني المذكور في القرآن، يفتخر بجده اسكندر ذي القرنين بن فيلسوف اليوناني. ويروى: مرءاً، بدل جدي. وتدين أي تنقاد. وروي بدله: «علا في الأرض غير مفند» أي غير مكذب، فلا عيب في القافية والخلب ـ بضمتين ـ: الحمأة وهي الطين. والثأط: الحمأة المختلطة بالماء، فتزيد رطوبة وتفسد. والحرمد: الطين الأسود. مدح ذا القرنين ثم قال: إنه بلغ مواضع غروب الشمس ومواضع شروقها، يبتغي من الله أسباباً توصله لمقصده، فرأى محلى غيار الشمس عند مآبها، أي رجوعها إليه. ويروى مآب الشمس عند مغيبها: أي غيبوبتها. وفي عين: متعلق بغار. أو بمحذوف، أي: رآها تغرب في عين. ويجوز أنه حال من المغار؛ لأن العين أوسع منه، أي في عين ماء ذي طين أسود مختلط بماء، وهذا موافق لظاهر الآية. وأولها أبو علي الجبائي بأن ذلك على سبيل التخييل، كما أن من لم ير الشاطئ الغربي من البحر المتسع يرى الشمس تغرب فيه، وفي الحقيقة تغرب في ظلمة وراء الأبيض، لأن الأرض كروية.

وهو لأمية بن أبي الصلت في ديوانه ص ٢٦، ولسان العرب (حرمد)، (ثأط)، ومقاييس اللغة ١/ ١٥٤، وتهذيب اللغة ٧/ ٤١٨، وتاج العروس (أوب)، (حرمد)، (ثأط)، ولتبّع في تاج العروس (خلب)، ولسان العرب (أوب)، (خلب)، (حرمد)، و كتاب العين ٤/ ٢٧٠، ٨/ ٤١٧، وتهذيب اللغة ٥/ ٣٣٠، ١٤/ ٥، ١٥/ ٦٠٧، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ١/ ٣٩٨، وجمهرة اللغة ص ١١٤٠.

تكون العين جامعة للوصفين جميعاً، كانوا كفرة فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإسلام، فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم، فقال: أما من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك؛ فذلك هو المعذب في الدارين، ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ﴾: ما يقتضيه الإيمان، ﴿فَلَهُ جَزَآءَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، وقيل: خيره بين القتل والأسر، وسماه إحساناً في مقابلة القتل، (فله جزاء الحسنى): فله أن يجازي المثوبة الحسنى، أو فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة، وقرئ: «فله جزاء الحسنى»، أي: فله الفعلة الحسنى جزاء، وعن قتادة: كان يطبخ من كفر في القدور، وهو العذاب النكر، ومن آمن أعطاء وكساه، ﴿مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي: لا نأمره بالصعب الشاق، ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك، وتقديره: «ذا يسر»؛ كقوله: ﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾، وقرئ: «يُسُراً»: بضمتين.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾

وقرئ: مطلع، بفتح اللام وهو مصدر، والمعنى: بلغ مكان مطلع الشمس؛ كقوله [من الطويل]:

كَأَنَّ مَجَرَّ الرَّامِسَاتِ ذُيُولَهَا ..... (١)

يريد: كأن آثار مجر الرامسات؛ ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ قيل: هم الزنج، والستر: الأبنية؛ وعن كعب: أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب؛ فإذا طلعت الشمس دخلوها، فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم، وعن بعضهم: خرجت حتى جاوزت الصين، فسألت عن هؤلاء فقيل: بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة، فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس

---

(١) كأن مجر الرامسات ذيولها ... عليه قضيم نمقته الصوانع

للنابغة، والمجر ليس مكان الجر، وإنما هو مصدر بمعنى الجر، لأنه لو كان اسم مكان لما عمل النصب، ثم يجب تقدير مضاف ليصح الإخبار عنه بأنه قضيم أي موضع مجر، أي كان المحل الذي تجر الرياح الرامسات ذيولها عليه قضيم، أي جلد أبيض نمقته وحسنته الصوانع للكتابة. وسميت الرياح رامسات من الرمس أي التغييب؛ لأنها تحمل التراب وتلقيه على الآثار فيدفنها. واستعار الذيول لما يلي الأرض من الرياح على طريق التصريح. ويجوز أن تشبه الرياح بنساء لثيابهن ذيول طويلة يحررنها على الأرض، والذيول تخييل.

ينظر: ديوانه ص ٣١، وجمهرة اللغة ص ٩٧٧، وخزانة الأدب ٢/ ٤٥٣، وشرح شواهد الإيضاح ص ١٧٤، وشرح شواهد الشافية ص ١٠٦، وشرح المفصّل لابن يعيش ٦/ ١١٠، ١١١، ولسان العرب، (ذيل)، (قضم)، وتاج العروس (نمق)، (ذيل)، (قضم)، وبلا نسبة في شرح شافية ابن الحاجب ٢/ ١٦، وشرح عمدة الحافظ ص ٧٣٣.

الأخرى، ومعي صاحب يعرف لسانهم، فقالوا له: جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس؟ قال: فبينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة[1]، فغشي عليّ، ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن، فلما طلعت الشمس على الماء إذا هي فوق الماء كهيئة الزيت، فأدخلونا سرباً لهم، فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم، وقيل: الستر: اللباس، وعن مجاهد: من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: أمر ذي القرنين كذلك، أي: كما وصفناه تعظيماً لأمره، ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾: من الجنود والآلات وأسباب الملك، ﴿خُبْرًا﴾: تكثيراً لذلك، وقيل: لم نجعل لهم من دونها ستراً مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس، والثياب من كل صنف، وقيل: بلغ مطلع الشمس مثل ذلك، أي: كما بلغ مغربها، وقيل: تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم، يعني: أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر، وإحسانه إلى من آمن منهم.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾

﴿بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾: بين الجبلين، وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما، قرئ: بالضم والفتح، وقيل: ما كان من خلق الله ـ تعالى ـ فهو مضموم، وما كان من عمل العباد فهو مفتوح؛ لأن السد بالضم فعل بمعنى: مفعول، أي: هو مما فعله الله تعالى وخلقه، والسد ـ بالفتح ـ: مصدر حدث يحدثه الناس، وانتصب (بين): على أنه مفعول به مبلوغ، كما انجرّ على الإضافة في قوله: (هذا فراق بيني وبينك)، وكما ارتفع في قوله: (لقد تقطع بينكم)؛ لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفاً، وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق، ﴿مِن دُونِهِمَا قَوْمًا﴾: هم الترك ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾: لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة، ونحوها كما يفهم البكم، وقرئ: يفقهون، أي: لا يفهمون السامع / ٢١٤ ب كلامهم ولا يبينونه؛ لأن لغتهم غريبة مجهولة.

﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾

---

(١) قوله: «إذ سمعنا كهيئة الصلصلة» في الصحاح «الصلة» واحدة الصلال، وهي القطع من الأمطار المتفرقة يقع منها الشيء بعد الشيء، وصلصلة اللجام: صوته إذا ضوعف (ع).

﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾: اسمان أعجميان؛ بدليل منع الصرف، وقرئا: مهموزين، وقرأ رؤبة: آجوج وماجوج، وهما من ولد يافث، وقيل: يأجوج من الترك، ومأجوج من الجيل والديلم[1]، ﴿مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قيل: كانوا يأكلون الناس، وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئاً أخضر إلا أكلوه، ولا يابساً إلا احتملوه، وكانوا يلقون منهم قتلاً وأذى شديداً، وعن النبي ﷺ في صفتهم: «لاَ يَمُوتُ أَحَدٌ مِنْهُمْ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى أَلْفِ ذكَرٍ مِنْ صُلْبِهِ، كُلُّهُمْ قَدْ حَمَلَ السِّلاَحَ» (٩٠٩). وقيل: هم على صنفين، طوال مفرطو الطول، وقصار مفرطو القصر، قرئ: «خرجا»، و «خراجا»، أي: جعلا نخرجه من

---

٩٠٩ ـ أخرجه ابن عديّ في «الكامل» (٦/ ٣٤)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ١٦٦ ـ بتحقيقنا)، والطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (٨/ ٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧/ ٦٩)، وابن مردويه والثعلبي كما في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣١١)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٠٦)؛ كلهم من طريق يحيى بن سعيد، عن محمد بن إسحاق عن الأعمش، عن شقيق، عن حذيفة مرفوعاً، وقال ابن عديّ: هذا حديث منكر موضوع، ومحمد بن إسحاق هذا ليس هو صاحب المغازي، وإنما هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن عكاشة بن محيصن الأسدي. وقال ابن الجوزي: ومحمد بن إسحاق هو العكاشي قال يحيى بن معين: كذاب. وقال الدارقطني: يضع الحديث.

قال الحافظ بن حجر في «تخريج الكشاف» وذكره ابن الجوزي من هذا الوجه في الموضوعات، فلم يصب؛ فإن له طريقاً أخرى في صحيح ابن حبان عن ابن مسعود. أ.هـ. أما الشاهد الذي ذكره الحافظ فأخرجه ابن حبان (١٩٠٧ ـ موارد) من طريق زيد بن أبي أنيسة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن ابن مسعود مرفوعاً. وله شاهد آخر من حديث أوس. أخرجه النسائي في «التفسير» (٣٥٣).

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه ابن عديّ، والطبراني في الأوسط، وابن مردويه، والثعلبي وغيرهم من رواية يحيى بن سعيد، عن محمد بن إسحاق، عن الأعمش، عن شقيق، عن حذيفة قال: «سألت النبي ﷺ عن يأجوج ومأجوج، فقال: يأجوج أمة، ومأجوج أمة، كل أمة أربعة آلاف لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح» قال ابن عديّ: هذا موضوع. ومحمد بن إسحاق هذا ليس هو صاحب المغازي، وإنما هو العكاش وذكره ابن الجوزي في الموضوعات من هذا الوجه، فلم يصب، فإن له طريقاً أخرى؛ ففي صحيح ابن حبان عن ابن مسعود مرفوعاً: «إن يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم لصلبه ألفاً» وفي النسائي عن عمرو بن أوس عن أبيه رفعه: «أن يأجوج ومأجوج يجامعون ما شاؤوا. ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً. وفي المستدرك عن عبد الله بن عمرو رفعه: «إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ولن يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفاً فصاعداً» انتهى.

---

(١) قوله: «من الجيل والديلم» كذا عبارة النسفي أيضاً، ولعله «من جيل الديلم» وفي الصحاح: جيل من الناس، أي: صنف، الترك جيل، والروم جيل. وفيه: الديلم جيل من الناس (ع).

أموالنا؛ ونظيرهما: النول والنوال، وقرئ: «سدا»، و «سدا»: بالفتح والضم.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾

﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾: ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار، خير مما تبذلون لي من الخراج، فلا حاجة بي إليه، كما قال سليمان، صلوات الله عليه: (فما آتاني الله خير مما آتاكم)، قرئ بالإدغام وبفكه، ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾: بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل، وبالآلات، ﴿رَدْمًا﴾: حاجزاً حصيناً موثقاً، والردم: أكبر من السد، من قولهم: ثوب مردم، رقاع فوق رقاع، قيل: حفر الأساس[1] حتى بلغ الماء، وجعل الأساس من الصخر. والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد، بينهما الحطب[2] والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما، ثم وضع المنافيخ حتى إذا صارت كالنار، صب النحاس المذاب على الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلاً صلداً، وقيل: بعد ما بين السدين مائة فرسخ، وقرئ: «سوّى»، و «سووي»، وعن رسول الله ﷺ أنّ رجلاً أخبره به فقال: كيف رأيته؟ قال: «كالْبَرْدِ[3] المُحْبرِ طَرِيقة سَوْدَاء وَطَرِيقَة حَمْرَاءَ». قال: «قد رأيته» (٩١٠) والصدفان ـ بفتحتين ـ: جانبا الجبلين؛ لأنهما يتصادفان أي: يتقابلان، وقرئ:

---

٩١٠ ـ أخرجه الطبري في «تفسيره» (٨/ ٢٨٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسلاً، وأخرجه أيضاً ابن مردويه، والطبراني في «مسند الشاميين»، والبزار كما في «تخريج الكشاف» للزيلعي (٢/ ٣١٢ ـ ٣١٣). =

---

(١) قوله: «قيل حفر الأساس» لعله: للأساس (ع).

(٢) قوله: «بينهما الحطب» لعله: بينها (ع).

(٣) أخرجه الطبري من رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة. قال «ذكر لنا أن رجلاً قال: يا رسول الله، قد رأيت سد يأجوج ومأجوج. قال انعته لي قال: كالبرد المحبر. طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته» ورواه ابن أبي عمر عن سفيان بن عيينة عن سعيد عن قتادة عن رجل من أهل المدينة. أنه قال للنبي ﷺ، رأيت الردم فذكر نحوه، ورواه الطبراني في مسند الشاميين. وابن مردويه عنه من رواية سعيد بن بشير عن قتادة عن رجل عن أبي بكرة الثقفي «أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فذكر نحوه، لكن قال «طريقة حمراء من نحاس: وطريقة سوداء من حديد» وأخرج البزار من وجه آخر عن يوسف بن أبي مريم الحنفي. قال «بينما أنا قاعد مع أبي بكرة إذ جاء رجل فسلم عليه. فقال له أبو بكرة من أنت؟ قال تعلم رجلاً أتى النبي ﷺ فأخبره أنه رأى الردم. فقال له أبو بكرة: وأنت هو؟ قال: نعم. قال: اجلس حدثنا. قال: انطلقت حتى أتيت أرضاً ليس لهم إلا الحديد يعلمونه». فذكر القصة والحديث. وقال: لا نعلم له رواية عن النبي ﷺ غير أبي بكرة.

«الصدفين»؛ بضمتين، و «الصدفين»: بضمة وسكون، و «الصدفين»: بفتحة وضمة، والقطر: النحاس المذاب؛ لأنه يقطر، و ﴿قِطْرًا﴾: منصوب بأفرغ، وتقديره: آتوني قطراً أفرغ عليه قطراً، فحذف الأول، لدلالة الثاني عليه، وقرئ: قال: ائتوني، أي: جيئوني، ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟﴾: بحذف التاء للخفة؛ لأن التاء قريبة المخرج من الطاء، وقرئ: «فما اصطاعوا»: بقلب السين صاداً، وأما من قرأ بإدغام التاء في الطاء، فملاق بين ساكنين على غير الحد، ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾: أن يعلوه، أي: لا حيلة لهم فيه من صعود، لارتفاعه وانملاسه، ولا نقب لصلابته وثخانته.

﴿قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾

﴿بِهَـٰذَا﴾: إشارة إلى السد، أي: هذا السد نعمة من الله، و: ﴿رَحْمَةٌ﴾: على عباده، أو هذا الإقدار والتمكين من تسويته، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾: يعني: فإذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي جعل السد، ﴿دَكَّآءَ﴾ أي: مدكوكاً مبسوطاً مسوّى بالأرض، وكل ما انبسط من بعد ارتفاع فقد اندك، ومنه: الجمل الأدك: المنبسط السنام، وقرئ: دكاء، بالمد، أي: أرضاً مستوية، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾: آخر حكاية قول ذي القرنين.

﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَـٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾

﴿وَتَرَكْنَا﴾: وجعلنا، ﴿بَعْضَهُمْ﴾: بعض الخلق، ﴿يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾ أي: يضطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى، ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج، وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد، وروي: يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه، ثم يأكلون الشجر، ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس،

= أخرجه الطبري من رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة. قال «ذكر لنا أن رجلاً قال: يا رسول الله، قد رأيت سد يأجوج ومأجوج. قال انعته لي قال، كالبرد المحبر. طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته، ورواه ابن أبي عمر عن سفيان بن عيينة عن سعيد عن قتادة عن رجل من أهل المدينة. أنه قال للنبي ﷺ، رأيت الردم فذكر نحوه، ورواه الطبراني في مسند الشاميين. وابن مردويه عنه من رواية سعيد بن بشير عن قتادة عن رجل عن أبي بكرة الثقفي «أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فذكر نحوه، لكن قال طريقة حمراء من نحاس: وطريقة سوداء من حديد» وأخرج البزار من وجه آخر عن يوسف بن أبي مريم الحنفي. قال «بينما أنا قاعد مع أبي بكرة إذ جاء رجل فسلّم عليه. فقال له أبو بكرة من أنت «قال تعلم رجلاً أتى النبي ﷺ فأخبره أنه رأى الردم. فقال له أبو بكرة: وأنت هو؟ قال: نعم. قال: اجلس حدثنا. قال: انطلقت حتى أتيت أرضاً ليس لهم إلا الحديد يعلمونه. فذكر القصة والحديث. وقال: لا نعلم له رواية عن النبي ﷺ غير أبي بكرة.
قوله «ثم يبعث الله نغفا في أقفائهم» أي دودا، أفاده الصحاح.

ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس، ثم يبعث الله نغفاً في أقفائهم[1] فيدخل في آذانهم فيموتون.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾: وبرّزناها لهم فرأوها وشاهدوها، ﴿عن ذكري﴾: عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتعظيم، أو عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها؛ ونحوه: صم بكم عمي، ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ يعني: وكانوا صماً عنه، إلا أنه أبلغ؛ لأنّ الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به، وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم[2]، فلا استطاعة بهم للسمع.

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾

﴿عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾: هم الملائكة، يعني: أنهم لا يكونون لهم أولياء؛ كما حكى عنهم: ﴿سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ﴾، وقرأ ابن مسعود: أفظن الذين كفروا، وقراءة علي ـ رضي الله عنه ـ: «أفحسب الذين كفروا»، أي: أفكافيهم ومحسبهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر، أو على الفعل والفاعل؛ لأن اسم الفاعل إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل؛ كقولك: «أقائم الزيدان»، والمعنى: أنّ ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا، وهي قراءة محكمة جيدة، النزل: ما يقام للنزيل وهو الضيف، ونحوه: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾

﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾: ضاع وبطل وهم الرهبان، عن علي ـ رضي الله عنه ـ (٩١١) كقوله: ﴿عاملة ناصبة﴾ [الغاشية: ٣] وعن مجاهد: أهل الكتاب، وعن علي ـ رضي الله عنه ـ: أن

---

٩١١ ـ ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/٤٥٦) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

---

(١) قوله: «ثم يبعث الله نغفاً في أقفائهم» أي دوداً، أفاده الصحاح (ع).

(٢) قوله: «كأنهم أصميت أسماعهم» في الصحاح في مادة صمم: أصمه الله فصم. وفي مادة صما بالألف: أصميت الصيد إذا رميته فقتلته، فقوله: أصميت، لعله بمعنى أهلكت بالمرة بحيث لا يمكن أن تسمع (ع).

ابن الكوّا سأله عنهم؟ فقال: منهم أهل حروراء (٩١٢)، وعن أبي سعيد الخدري: يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة، فإذا وزنوها لم تزن شيئاً، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾: فنزدري بهم، ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار، وقيل: لا يقام لهم ميزان؛ لأن الميزان إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين، وقرئ: «فلا يقيم»: بالياء.

فإن قلت: الذين ضل سعيهم في أي محل هو؟

قلت: الأوجه أن يكون في محل الرفع، على: هم الذين ضل سعيهم؛ لأنه جواب عن السؤال، ويجوز أن يكون نصباً على الذم، أو جرا على البدل، ﴿جَهَنَّمُ﴾: عطف بيان لقوله: (جزاؤهم)[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾

الحول: التحول، يقال: حال من مكانه حولاً؛ كقولك: عادني حبها عوداً، يعني: لا مزيد عليها حتى تنازعهم أنفسهم إلى أجمع لأغراضهم وأمانيهم، وهذه غاية الوصف؛ لأن الإنسان في الدنيا في أي نعيم كان فهو طامح للطرف إلى أرفع منه، ويجوز أن يراد نفي التحول وتأكيد الخلود.

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾

المداد: اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط، ويقال: السماد مداد الأرض، والمعنى: لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مداداً لها، والمراد بالبحر: الجنس، ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾: الكلمات، ﴿وَلَوْ جِئْنَا﴾: بمثل البحر مداداً لنفد ـ أيضاً ـ والكلمات غير نافدة، و ﴿مَدَدًا﴾: تمييز؛ كقولك: لي مثله رجلاً، والمدد مثل المداد، وهو ما يمدّ به، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: بمثله مداداً، وقرأ الأعوج: «مِدداً»: بكسر الميم، جمع: مدّة، وهي: ما يستمده الكاتب فيكتب به، وقرئ:

---

٩١٢ ـ ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/٤٥٦) وعزاه لابن مردويه.

---

(١) قوله: «عطف بيان لقوله جزاؤهم الحول» كذا في النسفي أيضاً، لكن المتجه أنه بيان لقوله (ذلك) الذي هو إشارة لما مر في قوله ﴿إنا اعتدنا جهنم للكافرين﴾ (ع).

«ينفد»: بالياء، وقيل: قال حييّ بن أخطب: في كتابكم، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، ثم تقرؤون: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]؛ فنزلت، يعني: أن ذلك خير كثير، ولكنه قطرة من بحر كلمات الله.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾: فمن كان يؤمل حسن لقاء ربه، وأن يلقاه لقاء رضا وقبول، وقد فسرنا اللقاء، أو: أفمن كان يخاف سوء لقائه، والمراد بالنهي عن الإشراك بالعبادة: أن لا يرائي بعمله وأن لا يبتغي به إلا وجه ربه خالصاً لا يخلط به غيره. وقيل: نزلت في جندب بن زهير قال للنبي ﷺ: «إني أعمل العمل، فإذا اطلع عليه سرني، فقال: إن الله لا يقبل ماشورك فيه» (٩١٣). وروي أنه قال: «لك أجران: أجر السر، وأجر العلانية» (٩١٤)، وذلك إذا قصد أن يقتدي به، وعنه ﷺ: «اتقوا الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء» (٩١٥). عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الكهف من

---

٩١٣ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣١٣) غريب. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (٦٠٤).

٩١٤ ـ أخرجه الترمذي (٤/ ٥٩٤) كتاب الزهد: باب عمل البر حديث (٢٣٨٤) وابن ماجه (٢/ ١٤١٢) كتاب الزهد: باب الثناء الحسن حديث (٤٢٢٦) والطيالسي (٢/ ٢٨ ـ منحة) رقم (١٩٩٩) وابن حبان (٦٥٥ ـ موارد) وابن عديّ في «الكامل» (٣/ ١٢٠٠) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب وقد روى الأعمش وغيره عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي صالح عن النبي ﷺ مرسلاً وأصحاب الأعمش لم يذكروا فيه عن أبي هريرة. أ.هـ. وصححه ابن حبان. وله شاهد من حديث أبي مسعود الأنصاري أخرجه الطبراني كما في «تخريج الكشّاف» (٢/ ٣١٤). وشاهد آخر من حديث أبي ذر. أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ١١٢).

٩١٥ ـ أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨) من حديث محمود بن لبيد.

قال الزيلعي: رواه أبو القاسم الأصبهاني في كتابه الترغيب والترهيب، من حديث أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه: ثنا دعلج بن أحمد، ثنا حامد بن محمد، ثنا سريج بن يونس، ثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ. . . ذكره سواء.

وبهذا الإسناد رواه الثعلبي في تفسيره سواء. ورواه ابن مردويه في تفسيره في سورة الرعد: ثنا دعلج بن أحمد به سنداً ومتناً، وكذلك رواه في هذه السورة.

وروى أيضاً: حدثنا سليمان بن أحمد ـ هو الطبراني ـ: ثنا أحمد بن حماد بن رغبة، ثنا سعيد بن أبي مريم، ثنا ابن لهيعة، عن عمارة بن غزية، عن يعلى بن شداد بن أوس، عن أبيه قال: كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر.

وروى الدارقطني في غرائب مالك، من حديث عبد الرحمن بن محمد بن سلام: ثنا إسحاق بن عيسى الطباع، عن مالك بن أنس، عن عمرو بن أبي عمرو، عن عاصم بن عمرو بن قتادة، عن محمود بن لبيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: يا =

آخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه. ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء» (٩١٩) وعنه ﷺ: «من قرأ عند مضجعه (قل إنما أنا بشر مثلكم) كان له من مضجعه نور يتلألأ إلى مكة، حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم، وإن كان مضجعه بمكة كان له نور يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور، حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ» (٩١٧) / ١ / ٢١٥ أ والله أعلم.

= رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء». انتهى. ثم قال: غريب من حديث مالك، تفرد به إسحاق الطباع، وهو ثقة، ولا أعلم رواه عنه غير عبد الرحمن بن محمد بن سلام، وهو من الثقات. انتهى.

ورواه أحمد: ثنا يونس، ثنا ليث، عن يزيد بن الهاد، عن عمرو بن أبي عمرو به.

ورواه البيهقي في شعب الإيمان، في الباب الخامس والأربعين، من حديث ابن أبي مريم: ثنا ابن أبي الزناد، عن عمرو بن أبي عمرو به».

٩١٦ ـ أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٩) من حديث معاذ بن أنس. وفي سنده ابن لهيعة.

وأخرجه أيضاً ابن السني في «عمل اليوم والليلة» والبغوي والطبراني والثعلبي وابن مردويه كما في «تخريج الكشاف» (٢/ ٣١٦).

٩١٧ ـ أخرجه البزار (٣١٠٨ ـ كشف) من حديث عمر بن الخطاب. وأخرجه أيضاً إسحاق بن راهويه والثعلبي وابن مردويه.

obeikandl.com